



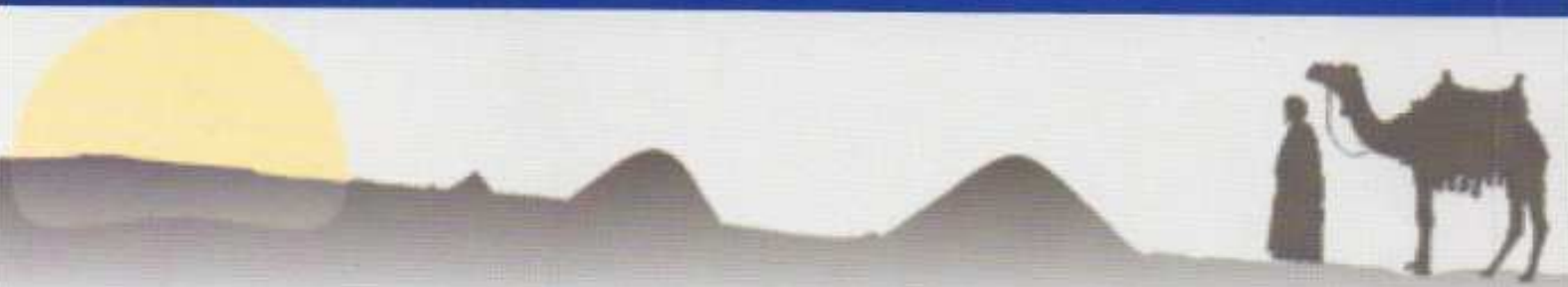
الرحلة المغربية

تأليف : محمد العبدري البلنسي

المتوفى (نحو سنة ٧٢٠ هـ)

تقديم:

أ.د. سعد بوفلاقة



منشورات بونة للبحوث والدراسات

1428 هـ / 2007 م



جامعة الدول العربية

الرحلة المغربية

الرحلة المغربية

تأليف: محمد العبدري البلنسي
المتوفى (نحو سنة 725 هـ - 1325 م)

تقديم:
أ.د. سعد بوفلاقة

منشورات بونة للبحوث والدراسات
بونة - الجزائر
1428 هـ / 2007 م

عنوان الكتاب : الرحلة المغربية.

المؤلف: محمد العبدريّ البلنسيّ.

الطبعة الأولى: رمضان 1428 هـ / أيلول (سبتمبر) 2007 م.

الناشر: مؤسسة بونة للبحوث والدراسات.

ص.ب 76 A (وادي القبة)، عناية، الجزائر.

الهاتف المحمول: 82 87 10 72 (213)

الفاكس (الفاكس): 35 15 54 38 (213)

البريد الإلكتروني: saad_alandaloussi@hotmail.com

الموقع على شبكة الانترنت: www.bounamagazine.5u.com

رقم الإيداع القانوني: 1787 - 2006

الترقيم الدولي ردمك: ISBN : 9961-914-11-2

كل الحقوق
محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« تقديم »

أولاً: المؤلف (العبدري صاحب الرحلة):

هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (أو سعود)، أبو عبد الله، الحاحي، المشهور بالعبدري، نسبة إلى عبد الدار، وهي قبيلة من جنوب المغرب الأقصى، وهو صاحب « الرحلة »، المعروفة باسمه. أصله من بلنسية بالأندلس، وكان يسكن في بلدة (حاحة)، بالمغرب الأقصى، وكذلك أقام مدة من الزمن في قرية تقع على الطريق بين بسكرة وتوزر بالمغرب الأوسط⁽¹⁾، وكان من العلماء، بل إن المقروءات التي قرأها، والمسموعات التي سمعها من الشيوخ، تدل على علو كعبه في العلم والأدب، وكان واسع المحفوظ، يقول الشعر⁽²⁾.

عزم العبدري على الرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فسافر إليه، برفقة ابنه في الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة 668هـ، الموافق 11 كانون الأول (ديسمبر) 1289م⁽³⁾.

(1) إسماعيل العربي: المدن المغربية، ص: 62، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

(2) صلاح الدين المنجد: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، ص: 70، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1963م.

(3) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج 6، ص: 401، دار العلم للملايين بيروت.

وقد سجل في رحلته كل ما رآه في ذهابه وإيابه، وكان قد مرّ بكثير من المدائن في المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأدنى، ومصر، والحجاز. وبعد أداء فريضة الحج، عرّج على فلسطين، وزار بعض مدنها، وأقام فيها بعض الوقت، «كما أقام في القاهرة، والاسكندرية، ثم قفل راجعا إلى بلده عن طريق الجزائر، وتلمسان، وفاس، ومكناس، حتى بلغ (أزمور) التي تقع على شاطئ المحيط الأطلسي حيث لحقت به أسرته»⁽¹⁾.

وقد سمع العبدري في أثناء رحلته من تفرّج من العلماء منهم في تونس الحاضرة: عبد الله بن هارون الطائي، كما تسلّم فيه الخرقه من الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف الأندلسي، وسمع في القيروان من أبي زيد عبد الرحمن بن الأسدي، ثم سمع في مصر من شرف الدين الدّمياطي، وابن دقيق العيد، وزين الدين بن المنير، وغيرهم. ولا يبعد أن تكون وفاته نحو سنة 725هـ (1325م). ويبدو أنه قد قضى جانبا كبيرا من حياته في المغرب الاقصى، حتى عرف أيضا باسم «الحيجي» نسبة إلى «حاجة»⁽²⁾ التي تبعد عن مدينة الصويرة بحوالي ستين كيلومترا. وقبره معروف فيها، ويطلق عليه اسم «سيدي أبو البركات»⁽³⁾.

(1) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص: 63.

(2) د. عمر فروخ: المرجع السابق، ص: 402.

(3) الزركلي: الأعلام، مج 7، ص: 32.

ويندو أن الأمر قد التبس على الزركلي إذ جعل له ترجمتين متتاليتين، على أنه شخصان مختلفان⁽¹⁾، ووقع في الوهم نفسه عمر رضا كحالة، والحقيقة أن الترجمتين هما للعبدي صاحب الرحلة⁽²⁾. وكان شاعرا فحلا، وأديبا، وناقدا⁽³⁾، ولكن نقداًته لاذعة، لقد وصف البونيين (العنانية) بالجن في كتابه هذا (الرحلة المغربية)، عندما زار بونة في أواخر القرن السابع الهجري (نحو سنة 688هـ-1289م)، فوصفها بقوله: «ثم وصلنا إلى مدينة بونة، فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطه البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة، تُلاحظ من كُتب فحوصا ممتدة، وتراعي من البحر جزره ومدّه، تغازها العيون من جور النوائب، وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب، وقد أزعج السفر عن حلولها، فلم أقض وطراً من دخولها، ومن أغرب المسموعات أن صادفنا وقت المرور بها زُوَيْرَقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا، وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصا، فأمسكواهم للقاء بمرسی البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم، ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير»⁽⁴⁾.

(1) انظر الزركلي: المرجع نفسه، ص: 31-32.

(2) د. علي ابراهيم كردي: الرحالة العبدي، الموسوعة الشاملة (موقع الكتروني)، ص: 3.

(3) الزركلي: المرجع نفسه، ص: 32.

(4) الرحلة المغربية، ص: 68، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر 2007م.

ويبدو أن العبدري كان متشائما ويراعي مقاييس لا يقره عليها جلُّ الباحثين، إذ وصف في رحلته كثيرا من العواصم لا تتفق مع واقعها⁽¹⁾ إلا أنه لا ينبغي أن نغفل عن دقة ملاحظاته فهو لا يغتر بالمظاهر، وقد اختص بميزة في رحلته لم يشاركه فيها أحد من الرحالين، هي: الجرأة في التعبير عن رأيه وشعوره، والنقد اللاذع لقد وصف مصر وأهل مصر في أخلاقهم وعاداتهم وصفا دقيقا، وأصلاهم نارا حامية من نقداته، كما أصلى العنانة حين وصفهم بالجن، فقد غلبهم من الكفار عشرون. ويبدو أن عدم ترحاب البونيين به أثر في نفسه حتى قال فيهم هذا الكلام (وقد أزعج السّفر عن حلولها فلم أقض وطرا من دخولها). وكان مذهبه أن الناس هم يعلمون الشاعر المهجاء بسوء أخلاقهم⁽²⁾. لذلك تصدّى له أحمد بن قاسم البوني بكتابه الموسوم «التعريف ببونة إفريقية بلد أبي مروان الشريف»، وكان الكتاب بمثابة ردّ على ما أورده الرحالة العبدري عن بونة في كتابه المذكور، واتّهمه بأنه «أخلّ بالتّعريف ببلد العبد الضعيف، بل ذكر لها نقيصة عظيمة، فعقّب (أحمد البوني) في التعريف ببونة إفريقية... على مقالة العبدري معتمدا

(1) المهدي البوعبدلي: نحات من تاريخ بونة الثقافي والسياسي، (محاضرات ومناقشات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، غنابة 19/10 يونيو 1976م)، مج: 1، ص: 52، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

(2) أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة...، ص 26، طبعة دار الهدى، الجزائر 2001م.

على مؤرخ بوني عاش في القرن التاسع الهجري، وهو أبو الحسن علي
فضلون الذي صنّف كتاباً في تاريخ المدينة بعنوان (الكلل والحلل)»⁽¹⁾.

ومن نقداته اللاذعة أيضاً، قوله في وصف مدينة قابس وأهلها: «... ثم
وصلنا إلى مدينة قابس، ذات المخبر الخبيث، والحيا العابس، هواء وخيم،
ولؤم طبع وخيم، و تضييع المصليات والمساجد، وقلة اعتناء بكل راع
وساجد».

وقد اعتمدنا في طبع هذه النسخة على طبعة ظهرت في الجزائر منذ
عدة عقود، ونفذت، ولكن تلك الطبعة⁽²⁾، وهذه الطبعة أيضاً، كان يمكن
أن تتم بعناية أكبر، وبطريقة علمية أفضل، ولكن سرعة إنجازنا لهذه الطبعة،
بسبب التزامنا مع وزارة الثقافة، في إطار الجزائر عاصمة للثقافة العربية سنة
2007م، جعلنا نقدمها للقارئ الكريم كما هي، بمفواتها التي لا تخفى على
القارئ اللبيب، على أمل أن نعود إليها في فرصة أخرى لنقوم بنشرها محققةً
مصححةً، إن شاء الله، أو يقوم بهذه المهمة دارسون آخرون.

وهذا النص لا يشتمل إلا على وصف شمال إفريقية، والمفروض أن
رحلة العبدري تتناول مصر وغيرها من البلدان الشرقية أيضاً.

« ومهما يكن من أمر، فإن الرحلة التي بين أيدينا هي أقرب إلى
المؤلفات الأدبية منها إلى المصنفات الجغرافية، وذلك على الرغم من أن

(1) أحمد بن قاسم البوني: المرجع نفسه، ص 27.

(2) نشر وتحقيق ابن جدو، الجزائر (د.ت).

المؤلف يزودنا بالمعلومات الحيوية العامة عن الأماكن والمدن التي أقام بها أو مرّ بها، والآثار التي شاهدها. ونظرة عابرة إلى هذا النص تقنعنا بأن اهتمام الكاتب لا يتّجه إلى الانتاج الاقتصادي والتجارة والسياسة، وغير ذلك من ألوان النشاط الحضاري، وإنما هو يتّجه إلى الرواية وتراجم العلماء والأدباء، وإلى الشعر بصفة خاصة. والحقّ أنّ الرحلة اقرب إلى أن تكون تقريراً نقدياً يعكس إلى حدّ ما الحركة الأدبية والعلمية في البلدان التي مرّ بها، منها إلى عمل من النوع الذي عودنا عليه الجغرافيون والرحالون العرب.

والشيء الأساسي الذي يميز رحلة العبدري هو الأسلوب الأدبي الرشيق والشيق، والملاحظة الدقيقة والمعرفة بسير الرجال. ومن هذه الزاوية يمكن أن نعتبر من أهم جوانب الرحلة كونها مصدراً لعدد من التراجم المغربية من العلماء والأدباء، ممّا يكمل طبقات أبي العرب ورياض النفوس للقيروان. ومن ضمن التراجم التي تقدمها الرحلة، ولا توجد فيما نعرف في غيرها، ترجمة أبي الحسن بن القاسم بن باديس القسنطيني، الذي تباحث معه المؤلف، وقيد اسمه...»⁽¹⁾.

(1) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص: 63-64.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وسلم يقول العبد المذنب المستغفر الفقير إلى الله تعالى محمد بن
محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري، عفا الله عنه آمين:
أحمد الله تعالى حمد معترف بالتقصير عائد بوجهه الأكرم
وجلاله الأعظم من سوء المصير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له شهادة تتكفل لي بالسلامة من كل ملامة وتضيء في ظلمتي
القبر والقيامة وتنير وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبيه وخيرته
وصفيه البشير النذير. وعلى آله الأعظمين وصحبه الأكرمين. صلاة
تفوت العد والتقدير وتكون لي أثرة باقية وجنة وافية من عذاب
السعير. وتمحو من كبير زللي و مسطور خطلي ما جرى به قلم
التقدير . وبعد فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما
أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده مما سما إليه الناظر المطرق
في خير الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان.
وأحوال من بها من القطان حسبما أدركه الحس والعيان وقام عليه
بالمشاهدة شاهد البرهان من غير تورية ولا تلويح ولا تقبيح حسن
ولا تحسين قبيح. بلفظ قاصد لا يحجم مفرداً ولا يجمع فيتعدى
المدى. مسطراً لما رأيته بالعيان. ومقررراً له بأوضح بيان حتى يكون

السامع لذلك كالمبصر وتلحق فيه السبابة الخنصر. فتشفى به نفس المتطلع المشوق ويقف منه على بغيته السائل المتعرف. وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر . وأنشدته من درر. ما أضم في أوراق متبددة وأعقل بعقال الخط متشردة. وأثبت في خلال ذلك من نظمي ما يتغلغل إليه الكلام. أو تجنح إلى تحصيله ضوامر الأقلام : وأضيف إلى ذلك ما يضطر إليه التبيان فيما قصر فيه العيان من نبذ مذكورة ونتف مشهورة ونكت مرسومة في الكتب مسطورة. تتيماً لغرض التقييد وتعميماً لأرب المستفيد حتى يكون التأليف في بابيه مغنياً وعن الافتقار إلى غيره مستغنياً مثبتاً في كل رسم بعض الأحاديث التي رويتها . والآثار التي وعيتها.

تبركاً باتبائها وتيمناً بذكر الفضلاء من روائها. وأختم ذلك بقصيدة وعظية أسرد فيها الرحلة سرداً وأبرزها من نسج فكري برداً. وربما حمل الامتعاض لحذف الفضائل عن فرط تحزب وتألف على فئة الرذائل . فيقبح في اللفظ إفذاع وإقراع ويرسم في باب همزهم تمكين مد وإشباع . لا جهلاً بموقع الإغضاء من أخلاق ذوي الألباب ولا ميلاً إلى ما عابه الشرع من مذموم الاغتياب . وإنما هو لغرض صحيح لا يرمي بسهم التقييح. وهو إعطاء ذي

الحق حقه . وأن لا تكون الفضائل لغير أهلها مستحقة فيكون
الفاضل في الوصف مبخوساً ويرى الناقص في غير منبته مغروساً. وقد
يردع المسيء عن إساءته ما يرى ويسمع من مساءته. ومن التأديب
كل ما كف المرء عن زللته ونية المؤمن أبلغ من عمله. وعلى أني يعلم
الله قلما أمتعض لنفسي وان جد في غرضها عنسي وما أقرت قلبي
بالانتصاف و لا عملته في ذكر ذميم الأوصاف إلا لحرمة من الفضل
أشلاؤها مجزعة أو وظيفة من الشرع أحكامها مضیعة وقد حدثنا
الشيخ الفقيه المحدث عالم الديار المصرية تقي الدين أبو الفتح محمد
بن علي ابن وهب القشيري إملاء من لفظه بمترله من دار الحديث
الكاملية بقاعدة مصر مجدها الله تعالى قال قرأت على الفقيه المفتي
أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي وكان من سلاطين
العلماء صليبا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الحافظ أبي
محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي قراءة عليه قال
أخبرنا علي بن مسلم بن محمد السلمي، قال أخبرنا أبو الحسن
أحمد بن عبد الواحد بن أبي حديد السلمي، قال أخبرنا جدي أبو
بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي حديد ، قال أخبرنا أحمد هو
أبو الفضل بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمي ، قال حدثنا المؤمل

هو ابن شهاب قال أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال أول من قدم الخطبة مروان فقام إليه رجل. فقال: يا مروان إن خالفت خالف الله بك. فقال: يا فلان أترك ما هنالك . فقام أبو سعيد الخدري فقال أما هذا فقد قضى ما عليه . سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان. وليس نكراً في هذا الزمان قدح من يقدح وإنما النكر مدح من يمدح. لأن الصدق محمود بكل لسان والكذب مذموم من كل إنسان. والأمر في ذلك كما أنشدني الشيخ الأستاذ الفاضل محي الدين أبو عبد الله المازوني بالاسكندرية لنفسه «وافر» :

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| أصبحوا فيه من مساق سواء | قل لأهل الزمان حاشان مما |
| هل رآكم أحسنتم فأساء | ما على شاعر هجاكم ملام |
| ح وأنتم تعلمونا الهجاء | كان من قد مضى يعلمنا المد |

وقد تعطل في هذا العصر موسم الأفاضل. وتبدد في كل قطر نظام الفضائل وتفرق أهلها أيادي سبا. وصاروا حديثا في الناس مستغربا. فعادوا اسما بلا مسمى وحرفا ما دل على معنى . فالمحدث

عنهم في مشرق أو مغرب كالمحدث عن عنقاء مغرب. ولو طاب
الورد لحمل الري وقديما قال أبو العلاء المعري «وافر»:
ويقال الكرام قولاً وما في الأر ض إلا الشخصوس والأسماء
وكيف لا تكون الدنيا على ما أصف وأقول وعلى وفق
المشاهد من ذميم أوصافها والمنقول. وقد صار الملك الذي هو نظام
الأمور وصلاح الخاصة والجمهور في أكثر الأرض منقوض الدعائم
مهذوم القوائم. يدعيه كل غوي كالمليكيشي وعبد القوي. رضوا
باسم الملك وان فاتهم معناه وادعوه وما لهم منه الا أسماؤه وكناه. لا
يأمن بهم طريق ولا يستنقذ بهم غريق. و لا يذكر منهم أصيل في
المجد عريق. لا تندي أكفهم بنائل. و لا تصون عن الابتذال وجه
فاضل. و لا ينصف بهم مظلوم. ولا يقرع بأسيا فهم ظلوم. أو ليس
من الأمر الأمر الخارج عن كل قياس ان المسافرين عندما يخرج عن
أنظار مدينة فاس لا يزال إلى الإسكندرية في خوض ظلماء و خبط
عشواء لا يأمن على ماله ولا على نفسه. و لا يؤمل راحة في غده
اذ لم يرها في يومه وأمسه. يروح ويغدو ولحمه على وضم. يظلم
ويخفى ويهتضم. تتعاطاه الأيدي الغاشمة وتتهاداه الأكف الظالمية.
لا منجد له ولا معين. ولا ملجأ يعتصم به المسكين فيستنجد

ويستغيث وأنى له بالمنجد المغيث. ينادي وهو في قيد المظالم
يرسف . ألا ناصر ينجد . ألا راحم يرؤف ويتذكر ملك البرين فيقرأ
يا أسفا على يوسف «طويل»:

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| فمن مبلغ علياه عني من نظمي | رسالة مستعد شكيا ظلمة الظلم |
| ضعيف القوى أودت بانضاء جسمه | فياف برت أهوالها مصمت العظم |
| مهامه ينضين الفنيق وان قضت | على ابن سبيل والت الجور في الحكم |
| إذا ضافها ضيف قرته بلحمه | فلم يعدها الا عريا من اللحم |
| وخيم فيها كل فظ إذا رأى | بنية شخص لم يكفكف عن الهدم |
| يرى ان حكم النبت والناس واحد | فما ينثني فيهم عن الخضم والقضم |
| ويرتاح للحجاج حين يراهم | كليث طوى منه الطوى راح للضغم |
| فكلهم السفاف وهو بشؤمه | على قبره كوم عظيم من الرضم |
| وأعجب من هذا ملوك بزعمهم | وجودهم في الأرض شر من العدم |
| رضوا بسأم لا محصل عندها | كطفل يرضى بالخال من الزعم |
| إذا استصرخ المظلوم منهم معظما | فقد طلب الفتوى إلى غير ذي علم |
| وان يشك مضطرا إليهم فقد شكا | إلى غير ذي فضل فتى غير ذي فهم |
| ألا لا تطل شكوى فلست بمشتك | إلى ملك البرين وأسكت على رغم |
| فذاك الذي أفنى الطغاة بسيفه | فلم يبق منهم من يشير إلى ظلم |
| أبادهم حتى غدا الغرب حضرة | مطهرة من كل عيب ومن وصم |
| بذكراه فلهج تعصم بسعوده | إذا أنت لم تعصم بسيف له يصم |
| هو المرء يغني حين يعطني وان يصل | تقل دكت الدنيا ولم يبق من رسم |

إذا احتال مغتال بسم عدوه
و ان دان ذو ضعف بكيد مكتم
له صارم يدنو بعين محقق
أراق دماء الظالمين فقد غدت
ترى سيفه في الحرب يهدي ويهتدي
إذا رص في أمر بنائه عزيمة
يوافيك منه وافيًا أو معاديا
لئن عذبت في السمع أمداح مجده
وإما جرى درا نظامي فانها
لقد لذ حتى قلت ان كنت ابتغي
ينيل يساراً من غدا الفقر حلقه
ولا غرو في الضدين ان جمعا به
يقيم بطبع الفضل أوزان نظمته
وليس يعد الغنم ما لا يحوزه
ولكنها نفس عتت وتجبرت
فصيرها مملوكة بعد ملكها
وعوضها من عزة الملك ذلة
إذا حل عزم الأمر حزم بدا له
طغى الكفر حتى صده بجيوشه
بحمر وشقر كالدنانير لوئها
وقد سددت بالخوف منها عداها

فصارمه الهندي يغني عن السم
فبالسيف يحو الكيد لا كن بلا كتم
إلى كل من يخطر له الشر في وهم
على حلة العلياء أبهى من الرقم
إذا ضل ما يرمى وضل الذي يرمى
فلا تخش من وهي ولا تخش من ثلم
غمام يروي أو حسام له يصم
فان نداه الجمل مستعذب الطعم
فضائله طراً ومالي سوى النظم
ثوابا به فهو النهاية في الظلم
ويولي افتقاراً من تمول بالغشم
غنى وافتقارا هكذا حالة اليم
فقد صين من كف لديه ومن حزم
إذا عده ذو البخل من أعظم الغنم
فحظهما وطني المقيد للهدم
وحط علاها وهي أبعد من نجم
ومن صحة الأحوال منهكة السقم
وما الحزم كل الحزم في صحة العزم
كما صد ذو القرنين يا جوج بالردم
وشهب كبيض الصحف أو لوئها ينم
فلم ترها جمعاء إلا من الدهم

فكم بطل حلف الأباطل أبطلت
وكم نصبت إذ أنصبت رفع فاعل
وكم مارد مهما غدا انقض نحوه
وكم صف صف في السلاسل منهم
توزعهم ريب الزمان توزعا
فأموالهم للنهب والأهل للسبا
كذا يتنى الجند الرفيع وهكذا
فيا أيها الساري المعد لأرضه
ويهنيك أن تحظى بقرب جنابه
حنانيك أبلغ نحوه لي رسالة
وشد بالذي خبرته من مدائح
مدائح يختال الزمان بذكرها
إذا برزت في حلبة الشعر برزت
كعاب إذا لاحت سبت كل ناظر
إذا جليت قام العيان بمدحها
ولم ألف في مصر ولا الشام كفؤها
فأبلغ بها نلت الأمانى أمانة
إلى الملك السامي صعوداً على الورى
إلى من له كف إذا المزن أخلفت
إلى فاضل أعني الأفاضل شأوه
إلى يوسف سيف الاله الذي أتى

وكم حرمت من قد تجرم بالجرم
وألفت على أفعاله عامل الجزم
شهاب من الفرسان أقصد من سهم
كما صف في الأرباق حاشية البهم
أرى حاسب الأعداد كيفية القسم
وأرواحهم للنار والجسم للحطيم
تضم خصال الجند في نسق النظم
ليهنك أمن في ذراه من الظلم
فتأمن من عرب هناك ومن عجم
تبلغ شكوى مسترق من الهـم
يفوق بها الياقوت در من الكلم
صحائح ما ترمي بزور ولا إثم
وحاز سواها نعتي السكت واللطم
فيسلو بها عن ذكر هند وعن نعم
فأظهر تفنيد المشير إلى الذم
فأطرقت إطراق الشجاع من الغم
ولا تظلمنها بابتدال ولا كتم
وليثهم في الحرب والفيث في السلم
فما أن تزال الدهر ساجدة قهم
فمن مثله الدنيا أصرت على عقم
لحسم العدا أن الحسام من الحسم

فدام ودامت في الصعود سعوده هنيئاً لمن يسمو له كل ما يسم
مرفى موقى مستجاراً مؤملاً منيراً ميراً للظلام وللظلم
عليه كريم السعي يرجى ويتقى مفيداً مبيداً في رضاه وفي الرغم
مصون العلا ما ضم در مديحه ورصع في بدء الحديث وفي الختم
وهذه الرحلة بدأت بتقييدها في تلمسان ولم يمكنني إظهارها
هنالك و أظهرتها بعد خروجنا منها. ووقف عليها شيوخنا بمصر
وغيرها. وكان شيخنا زين الدين بن المنير حفظه الله يستحسن ما
يقف عليه منها. وقد أكملتها و الحمد لله منتظمة على نسقها
ومستتة في سننها. جارياً معها حسبما جرت مستملياً لها فيما
قدمت وأخرت . حتى استوفى الغرض المطلوب . وحصل المراد منه
والمرغوب و بالله أعتصم وأستعين وهو خير عاصم ومعين وإياه
أستهدي الصواب واستكفي ما يصح وسيم بالعتاب إنه بنجح
المطالب كفيل . وهو حسبنا ونع الوكيل كان سفرنا تقبله الله تعالى
في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة .
ومبدأه من حاحة صائها الله . وكان طريقنا على بلاد القبلة. فزرنا
بموضع آنسا من أعلى بلاد السوس الأقصى قبر الشيخ الصالح أبي
حفص عمر بن هارون وهو من كبار الأولياء ومن عظماء الصالحين

نفعنا الله بهم ذكره صاحب كتاب التشوف وبالغ في الثناء عليه .
وذكره الشيخ الفقيه الصالح أبو سعيد الحاحي المترازي في كتابه
منار العلم. أنه كان يدخل عليهم في الدرس فيقول تهنئكم عبادة
القلوب والألسن والأيدي والأعين. يعني العلم وهو كلام من أيد
بالتوفيق وأمد بالتحقيق. وحضر معنا زيارة قبره جماعة من
الصالحين. ورأينا من حضور القلوب عنده ما قوى الرجاء في نيل
بركته. وفي أول سفرنا دخلنا مسجد الصلاة للظهر. فوجدنا به
ألواح صبيان المكتب. فنظرنا فيها تبركاً بها. فوجدنا في أول لوح
منها «من يتوكل على الله فهو حسبه». وفي الثاني: «ومن يتق الله
يجعل له مخرجاً». وفي الثالث: «قلوا فضل الله عليكم ورحمته
لكتم من الخاسرين». وفي الرابع: «وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا». وفي الخامس: «يوفون بالنذر». وفي السادس: «قل
لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا». فسررنا باتفاقها على
الإشارات إلى البشارات وحمدنا الله على ذلك. وبعد ليلتين أو
ثلاث رأيت في المنام الفقيه القاضي الإمام أبا الوليد الباجي رحمه
الله . فخطر لي أن أقرأ عليه شيئاً من كلامه فما حضرنى إلى
قوله «متقارب»:

إذا كنت أعلم علماً يقينا بأن جميع حياتي كساعه
فلم لا أكون ضئيلاً بها وأجعلها في صلاح وطاعه
فقرأتها عليه . وأما بلد أنسا جبره الله . فهو بلد منفسح
منشرح في بسيط مليح طيب التربة يغل كثيراً . وبه ماء جار كثير
ونخل وبساتين . وهو آخر بلاد السوس من أعلاه . متصل بالجبل
مشرف على أرض السوس . وكان فيما مضى مدينة كبيرة فتوالت
عليها الخطوب المحتاجة ونزول الأقدار المتاحة حتى صارت
رؤيتها قذى في المقلتين . وعادت بعادة الزمان أثراً بعد عين فليس
بها إلا رسوم حائلة و طول ماثلة خلت من كل قارئ و مقروء
عليه وقاصد ومقصود إليه . بيد أن بها صباية من أهل الدين وفرقة
بأخلاق أهل الخير . تدين على ما يتناولهم من أيدي المعتدين ويتداولهم
من أيدي المفسدين كشف الله عنهم تلك البلوى وحسم الداء الذي
أدبل نضراتهم وأذوى . ثم سافرنا منها على بلاد القبلة . وهي بلاد
مات فيها العلم وذكره حتى صارت العادة في أكثرها أنهم لا يتخذون
لأولادهم مؤدباً . و لا تسمع في مساجدهم تلاوة وإذا طرأ عليهم
من يحفظ من القرآن أجروه على الإمامة . و يواظبون على الصلاة في
الجماعة إذ لا يحفظ أحد منهم ما يصلي به إلا النادر . ولكنهم في

الغاية من حسن الظن بأهل الدين وقوة الرجاء فيهم. وهم أهل ذمام واحترام وحماية للجار وإيواء للغريب على ضد ما عليه أكثر أهل المغرب. وفي أكثر بلادهم حصون مجموعة وأنهار جارية وقل ما تخلو من الحروب والفتن. وربما تحارب أهل الموضع الواحد فيتقاتلون عامة النهار. فإذا آوهم الليل آووا إلى بيوتهم لا يهيج أحد منهم صاحبه. وربما تقاتلوا على السقوف وإذا فرغوا نزلوا عنها إلى بيوتهم. وقد رأيت عندهم في هذا أعجوبة. وهي أن أهل حصن منهم تحاربوا فأجمعوا رأيهم على أن لا يتقاتلوا في الحصن احتياطا عليه من الفساد زعموا وجعلوا المعتك خارج الحصن على مسافة منه. ونصبوا لذلك حدودا وأعلاما فهم يتقاتلون من ورائها. فإذا آوتهم حدود الحصن لم يرم أحد منهم حجرا. واجتمع يقاتل حميمه لا يعرض له فإذا خرجوا من حرم الحصن اشتعلت نار الحرب بينهم. هذا دأبهم لا يغدرون و لا ينقصون وخافوا إفساد حصنهم ولم يخافوا فساد كونهم واستباحوا ما حرم الله من قتل النفس. وامتنعوا من خرم ما شرعوه بينهم من قانون السخف. وكل مستعمل وميسر لما خلق له. لاجرم أن فيهم آحادا لا بأس بهم. وخصوصا من جال منهم وراء الناس. وعامتهم جاهلية الطباع ولكن مكارم الأخلاق عامة لأكثرهم

وقد سمعت سيدي الفقيه الجليل الفاضل أبا بكر بن عبد العزيز رحمه الله يحكي عن والده الشيخ الصالح القدوة أبي محمد و كان دخل بلاد القبلة أنه كان يقول: الغرب دنيا بلا رجال والقبلة رجال بلا دنيا. أو كلاما هذا معناه. وانما يعنى مكارم الأخلاق مع أن عيشهم غير متسع كاتساعه في الغرب.

وما زلنا في كنف لطف الله تعالى وتحت ذيل عنايته لا يهيجنا أحد إلا رده الله عنا خاسئا حتى انفصلنا عنها في أزيد من ثلاثين مرحلة ولما انتهينا إلى المفازة التي في طريق تلمسان وجدنا طريقها منقطعاً مخوفاً لا تسلكه الجموع الوافرة إلا على حال حذر واستعداد. وتلك المفازة مع قربها من أضر لا يسلم منهم صالح ولا طالح. ولا يمكن أن يجوز عليهم إلا مستعد يتفادون من شره. وطلائعهم أبداً على مرقب لا يخلو منها البتة. أطلع الله عليهم من الآفات ما يسحتهم جميعاً أصلاً وفرعاً. ويقطع دابرهم أفراداً وتثنية وجمعا حتى يكونوا آية للمعتبرين وعبرة للناظرين بعزة الله وقدرته وحوله وقوته. وكنت حينئذ لا تمكيني الإقامة حتى أجد صحبة لغرض كان لي. فآزمت أن أترك بعض الأصحاب بما كان معنا من النفقة منتظراً للصحبة. وأنصرف أنا مخاطراً بما تدعو الحاجة إلى استصحابه. فبينما

أوصي من أردت إقامته منتغصا بهذا الحال وأعرفه بما يصنع إذ وقف
علينا جماعة رجال متسلحين عارفين بالطرق عازمين على اعتساف
المجهل. فاستربت بهم ثم قوي في نفسي أن ذلك لطف من الله تعالى
وغوث أتاحه لنا . فسرنا معهم فلما وصلنا إلى موضع تحقق الخوف
وهم لا يعرفون سوى الجادة المخوفة خطر لنا أن نخاطر في ركوب
متن الفلاة بلا دليل وذلك حين غروب الشمس. ولما حصحص
اليأس وتحقق في الرأي الالتباس . وصل من اللطف معهود الألفاف
وعاد م عطفه علينا انعطاف فوقف علينا خمسة أشخاص أثر فيهم
الجؤوب وعلا على ألوانهم الشحوب عا نقوا البراري والقفار. حتى
أخلصهم خلوص العسجد بالنار . وتخوفهم الخوف المطير للوسن
كما تخوف عود النبعة السفن. فسألونا عن الوجهة فاجبرناهم
واستدعونا للمرافقة فاجبناهم وساروا بنا في مجاهل يضل بها الدليل.
ويذهل فيها الخليل عن الخليل. وفيهم رجل أدل من سليك المقانب
وأمضى من المرهف القاصب يطبق مفاصل القفار وينصت من
المجاهل انصالات المجلى من النقع المثار كالسهم مسددا إلى عرض
الفلاة. والجارج منقضا على الحومات. لا يستدل بنجم ينظر فيه ولا
يعرف نعشا ولا بنيه. ولا يتقي أن يسهو مع من سها. فيذكره سهيل

أو السها. يتبدل النجم فيقف وقفة الحيران. وربما عن له المسير فناء
كالنشوان. وهو يشق أديم البهماء كما شق البرق حندس الظلماء.
تحسده النجوم فتلاحظه بطرف كليل وتغاربه الريح فتتنفس بنفس
عليل. حتى قطع بنا تلك المفاوز واكتسبنا بحمد الله برود الأمن بعد
تلك المعاوز. والحمد لله الذي كلت الألسن على مدى حمده حمدا
يستنفذ مداده البحر في مده. ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها
بلدا حلت به زمانة الزمان. وأخلت به حوادث الحدثان. فلم تبق به
علالة. ولا تبصر في أرجائه للظمئان بلالة. وقد شاهدت جمعا من
الحجاج ينيفون على الألف وردوها فوقفوا إلى ملكها. فاعطاهم
دينارا واحدا. وأغرب من هذا ما شاهدته من منصور صاحب
مليكش. وهو أن جماعة من الحجاج نحو العشرين وقفوا إليه في محلته
عند بيته فكلموه في عشائهم فرحب بهم. واحتفل في السلام عليهم.
ثم أخذ ينادي يا أهل الدوار هؤلاء ضيفان الله. من يحمل منهم إلى
بيته واحدا وجعل يكرر ذلك كما يصنع المدرون أهل المدر. فلما لم
يجبه أحد منهم ولى عنهم ووراءه جمع كثيف من الفرسان وهو
سلطان تلك الواحي. وتلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة
المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور. ولها جامع عجيب مليح متسع.

وبها أسواق قائمة. وأهلها ذوو ليانة. ولا باس بأخلاقهم. وبظاهرها في سند الجبل موضع يعرف بالعباد وهو مدفن الصالحين وأهل الخير. وبه مزارات كثيرة. ومن أعظمها وأشهرها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله ورضي عنه ورزقنا بركته. وعليه رباط مليح مخدوم مقصود والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار. وسوره من أوثق الأسوار وأصحها. وبه حمامات نظيفة ومن أحسنها وأوسعها وأظفها حمام العالية وهو مشهور. قل ان يرى له نظير. وهذه المدينة بالجملة ذات منظر ومخير وأقطار متسعة ومبانيها مرتفعة ولكنها مساكن بلا ساكن. ومنازل بغير نازل. ومعاهد أقفرت من متعاهد. تبكى عليها فتسكب الغمام الهمع وترثي لها فتندب الحمام الوقع أن نزل بها مستضيف قرته بؤسا أو حل فيها ضعيف كسته من رداء الردى لبوسا. وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد. وغاضت أنهاره فازدحم على التماذي. فما ظنك بها وهي رسم عفا طلله. ومنهل جف وشله. وقد حظرت بها مدرسا مذكورا عندهم يقرأ عليه باب التوكيد منن الجمل. فسمعتة يقول: كلا للمذكرين وكلتا للمذكرتين وأعربوا قول ابن دريد: «هم الذين جرعوا من ما حلوا» بأنهم مبتدأ والذين مبتدأ ثان وجرعوا خبره والجملة في موضع

خبر الأول وهذا قليل من كثير. وصباغة من غدير. وأما الفقيه عندهم
فطويل الاغتراب يثوب اذا ما الغارض المغتر آب. وقد تحاكم إلى
قاضيتها اذ كنت بها متبائعان في ذهب رديء فحكم بما قيل في ذلك
من يمين المتباع على علمه فحلف وبريء ثم أتى البائع بعد أيام بم
شهد له أن صاحبه انما دفع له سكة فاس وكان الذي تداعيا فيه
من سكة فاس. فاحضر المتباع ووبخه بانه حلف آثما. وأنه قد ظهر
كذبه وحكم عليه بابدال الذهب. والى هذا انتهى بالعلم وأهله
الحال. وحسبنا الله وعليه الاتكال. ومع ذلك فلو انتهت خطة القضاء
إلى عليان أو ماني لم تكن في الشناعة كاتتهائها الى العمراني
بمحضرة مراكش كالأها الله و لا كالأ القاضي المذكور حياً وميتاً فانه
هتجنيق ظلم ترمى به قواعد الدين. ونفط فساد يضرم قلوب
المهتدين. وقد ونق الله لحصد شوكته واحقاد جمرته أمير المؤمنينأيده
الله فأغمد من جوره سيفاً قاطعاً. وعوض المسلمين من ظلامه ضياء
ساطعاً ومن بعض غرائبه التي شاهدتها أن قوما أدعي عليهم القتل
واثبت المدعي دعواه بوثيقة عليها اعلامه بصحتها. فاحتجوا بان لهم
مدفعا. فطلب المدعى تثقيفهم كما يجب شرعا فقال له القاضي:
هؤلاء كبراء الناس وأعيانهم ومن لا يتغيب وهذه سنة إسرائيلية

أحيائها هذا اللعين لا حياه الله و لا صفح عنه فما أعظم جرأته على الله عز وجل.

أخبرنا الشريف الفاضل الصالح المحدث أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني الغرافي بثغر الاسكندرية عن الشيخ الصالح المحدث أبي الحسن علي بن أبي بكر القلانسي ويعرف بابن روزه عن الامام أبي الوقت عبد الأول ابن عيسى بن شعيب الشنجذي عن ابن الحسن عبد الرحمان بن محمد الداودي البوشنجي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفريزي عن البخاري قال: ناعلي ناسفيان قال: وجدت في كتاب كان كتبه أيوب بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أن امرأة من بني مخزوم سرت. فقالوا من يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها : فلم يجترئ أحد أن يكلمه . فكله أسامة بن زيد. فقال: أن بني اسرائيل كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه. لو كانت فاطمة لقطعت يدها. وما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم و لا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن حميس وهو فتى السن. مولده عام خمس. وله

عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه والمعين عليه. وحظ وافر من الأدب. زطبع فاضل في قرض الشعر. وكنت ألفيت الشيخ الفقيه أبا اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي واخاه أبا الحسن مسافرين إلى المشرق وهما من سكان تلمسان وليسا منها. فقيهان مشاركان في العلم مع مروءة تامة ودين متين. وأبو اسحاق أسنهما و أسناهما. وهو ذو صلاح وخير. وكان شيخنا زين الدين أبو الحسن بن المنير حفظه الله يثنى عليه كثيراً. وسألني عن الغرب فذكرت له قلة رغبة أهله في العلم. فقال: أما بلاد يكون فيها مثل أبي اسحاق التنسي فما خلت من العلم وقد أدركتهما بمصر. وكان أبو الحسن لم يحج. فحج معنا فلقيت منه خيراً فاضلاً. وقد لازم شيخنا أبا الفتح بمصر مدة. واتخذ عنه كثيراً ولما حج رجع مع أخيه إلى تلمسان. وكنت حي وردتها قد أقمت بها مدة منتظرا الركب فكنت آنس بآبن حميس. واكثر مجالسته ومفاوضته واعجبني ذهنه وحاله فاني وجدته على حال انزواء وتقلل من الدنيا وفي أول ما اجتمعت به رأى في يدي كتابا. فسألني عنه. فقلت هو كتاب الشمائل فاستظرف امساكي له. وقال لي أخبرني الفقيه أبو عبد الله محمد بن حمدون. قال لي أخبرني الفقيه أبو زيد بن القاضي بتونس أن أبا محمد بن حوط الله ورد على أبيه.

فانزله بداره. وكان يبيت في سريره ومعه خريطة لا يفارقها. وكانت تفوح منها رائحة المسك. قال: وكنت أهاب أن أسأله عما فيها فرقد ذات يوم. فسقطت عن السرير ووقع منها كتاب شمائل النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أنشدني ابن خميس كثيراً من شعره. فمن ذلك قوله من قصيدة «كامل»:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| ومن العجائب أن أقيم ببلدة | يوما وأسلم من أذى جهاتها |
| شغلوا بدنياهم اما شغلتهم | عني؟ فكم ضعيت من أشغالها |
| حجبوا بجهلهم فان لاحت لهم | شمس الهدى عبثوا منها بآلها |
| وان انتسبت فأنني من دوحه | تتقيل الأنساب برد ظلالها |
| من حمير من ذي رعين من ذوي | حجر من العظماء من اقيالها |
| وإذا رجعت لطينتي معنى فما | سلساهم بأرق من صلصالها |

ومن ذلك قوله «طويل»:

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| أنت ولكن بعد طول عتاب | وطول لجاج ضاع فيه شبابي |
| ومازلت والعلياء تعنى غريمها | أعلل نفسي دائما بمتاب |
| وهيهات من بعد الشباب وشرخه | يلد طعامي أو يسوغ شرابي |
| خدعت بهذا العيش قبل بلائه | كما يخدع الصادي بلمع سراب |
| تقول هو الشهد المشور جهالة | وما هو الا السم شيب بصاب |
| وما صحبوا الدنيا كبكر وتغلب | ولا ككليب ريء فحل ضراب |
| إذا كفت الأبطال عنها تقدموا | أغاريب غرا في متون عراب |

وأن ناب خطب أو تفاقم معضل
تراءت لجساس مخيلة فرصة
فجاء بها شوهاء تنذر قومها
وكان رغاء الصقب في قوم صالح
فما تسمع الآذان في عرصاقيم
وسل عروة الرحال عن صدق بأسه
وكانت على الأملاك منه وفادة
يجير على الحيين قيس وخندف
زعامة مرجو النوال مؤمل
فمر يزجها حواسر ظللها
إلى فذك والموت أقرب غاية
تبرض صفو العيش حتى استشفه
فأصبح في تلك المواطن فمزة
وما سهمه عند النضال بأهزع
ولكنها الدنيا تكرر على الفتى
وعادقها أن لا توسط عندها
فلا ترج من دنياك ودا وان يكن
وما الحزم كل الحزم الا اجتنابها
أبيت لها ما دام شخصي أن ترى
فكم عطلت من أربع وملاعب
وكم عفرت من حاسر ومدجج

تلقاه منهم كل أصيد ناب
تأت له في جيئة وذهاب
بتشييد أرجام وهدم قباب
حديثا فانساه رغاء سراب
سوى نوح ثكلى أو نقيب غراب
وعن بيته في جعفر بن كلاب
إذا آب منها آب خير مآب
بفضل يسار أو بفضل خطاب
وعزمة مسموع الدعاء مجاب
بما حملوها من منى ورغاب
وهذا المنى يأتي بكل عجاب
فداف له البراض قشب حباب
لنیش ضباع أو لنهش ذئاب
ولا سفيه عند الصراع بناب
وان كان منها في اعز نصاب
فأما سماء أو تخوم تراب
فما هو الا مثل ظل سحاب
فاشقى الورى من تصطفى وتحابي
تمر بيابي أو تطور جنابي
وكم فرق من أسرة وصحاب
وكم اثكلت من معصر وكعاب

مثالب مثل الرمل لا تقل أقفا تعد فتحصيا ضرور حساب
إليكم بني الدنيا نصيحة مشفق عليكم بصير بالأمر نقاب
طويل مراس الدهر جذل مما حك عريض مجال الهم جلس ركاب
تأت له الأهوال أدهم سابقاً وغصت به الأيام أشهب كابي
ولا تحسبوا أني على الدهر عاتب فاعظم ما بي منه ايسر ما بي
وما أسفي الا شباب خلعتهم وشيب ابي الا نصول خضاب
وعمر مضى لم أحل منه بطائل سوى ما خلا من لوعة وتصابي
ليالي شيطاني على الغي قادر واعذب شيء مختي وعذابي
عكسنا قضايانا على حكم عادنا وما عكسها عند النهي بصواب
على أحمد المختار أزكى تحتي فتلك التي أعتد يوم حساب
فتلك عتادي أو ثناء أصوغه كدر سحاب أو كدر سحاب

قلت: هذه القصيدة مهذبة الألفاظ والمعاني وألذ من نغمات

المثالث والمثاني، إلا أن مقطعها قلق ناب. لا يلين ولو مضغ بضرر
وناب ليس يلتئم بما قبله ولا يمتزج. ولا يزال السمع به يقلق ويتزعج
وقد زاولته أن يلتحم فابي. وحاولته كي يلتئم فنيا وقوله فاما سماء أو
تخوم تراب. الوجه فيه وإما تخوم تراب بتكرير إما بعد حرف
العطف. وقل ما يؤتي بها غير مكررة إلا نادرا. كقول الشاعر
«منسرح»:

أما فتى نال العلى فاشتفى أو بطل ذاق الردى فاستراح

وأنشدني أيضا لنفسه قصيدة مها قوله «وافر»:

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| ويا برقاً أضاء على أوام | يمانياً متى جئت الشنماما |
| أثغر أمانة أنت ابتساما | أم الدر اللآلي انتظاما |
| خفقت ببعض واديهها لواء | ولحت على ثنيتها حساماً |
| أمشبه قلبي المضي احتداما | على ماذذت عن جفني المناما |
| لم أصهرتني وصددت عني | خيالا كان يأتيني لماما |
| وأبلغ منك تأريفا لجفني | كلام اثخن الاحشا كلاما |
| تعرض لي فأيقضت القوافي | ولو ترك القطا ليلا لناما |
| أضام وفي يدي قلمي لماذا | أضام بغير جرم أو على ما |
| به وبما أذلق من لساني | أفل الصارم الغضب الهداما |
| خليلي ان قدرت فلا تكلمي | لدهر علم الشح الغماما |
| وردت فلا أرد الا سرايبا | وشمت فلم أشم إلا جهاما |

قلت أنكرا غير واحد أن يقلل الشئام بالمد في غير النسب وليس

انكاره بشيء وهو ممدود في شعر حبيب وقد ردوه ولم يروه حجة

ونسوا قول النابغة الذبياني «وافر»:

على إثر الأدلة والبغايا وخفق الناجيات من الشئام

ويروى من الشئام بالمهملة جمع سامة. والحجة في الرواية

الأولى. وكذلك أنكروا تشديد الياء من اليماني. لأن الألف كالعوض

من التشديد. كما رأوا المد بزعمهم في شئام عوضاً من تشديد يا
النسب وإذا جاز مده في غير النسب جاز تشديد الياء مع المد. وقد
انشد المبرد على تشديد ياء اليماني مع زيادة الألف «طويل»:
فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر وأبرق والبرق اليماني خوان

وهذا البيت أيضاً شاهد لمن قال أرعد وأبرق بالألف أي تهدد.
وأصله من الرعد والبرق. وقد أنكره بعضهم بالألف. وقال: إنما هو
رعد وبرق بغير ألف، وكذلك رعدت السماء وبرقت. والصواب
أنهما لغتان. وأشهرهما بغير ألف وعليها قول الشاعر «كامل»:

فإذا حللت ودون بيتي ساوة فأبرق بأرضك ما بدا لك وأرعد

وقوله على ماذدت الوجه فيه حذف الألف لازماً لأن ما
الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر حذف منها الألف لكثرة
الاستعمال وفرق بينها وبين الخبرية قال الله تعالى: ﴿فيم أنت من
ذكرها﴾ وقال جل شأنه: ﴿فيما هم يختلفون﴾ ولو حذف الألف
منها لصح الوزن. وكان معقولا ولكنه زحاف قبيح. ولو قال
صددت أو طردت أو تذوذ أو نحو ذلك لسلم من الوجهين معا
وتخلص من الضرورتين جميعا. بالله تعالى التوفيق. و أنشدني أيضاً

للفقيه الأديب الكاتب الأبرع أبي بكر بن عبد الله بن داوود بن
خطاب المرسى مما أنشده إياه لنفسه «كاملا»:

أبصرت أبواب الملوك تغص بـ الراجلين ادراك الغنا والجاه
مترقين لها فمهمى فتحت خروا لاذقان لهم وجباه
فانفت من ذاك الزحام واشفقت نفسي على انضاء جسمى الواه
ورأيت باب الله ليس عليه من متزاحم فقصدت باب الله
وتخذته من دونهم لي عدة وافقت من غيبي وطول سفاه

وأنشدني أيضا عنه ونقلته من خط ابن خطاب قال ومما نظمته
والتزمت فيه حرف الراء والترصيع «رجز»:

أشكر لربك وانتظر في أثر عسر الأمر يسرا
واصبر لكربك وادخر في ستر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى والصبر بالأحرار أحرا
والوافر أكثر معشرا والفقر بالأخيار يغرا

قلت: نظام هذه الأبيات يدل على باع في الأدب مديد وطبع
فاضل ومقول مجيد. وناظمها رحمه الله متمكن الجلالة معروف
الأصالة. لقي جملة من الأفاضل وأخذ عنهم فاضلا عن فاضل. وقد
وقفت على بطاقة بخطه قيد فيها لصاحبنا أبي عبد الله جملة ممن لقيهم

من العلماء والصلحاء ونصها يقول محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي وفقه الله: لقيت من الشيوخ ببليدي مرسية أعادها الله تعالى لإسلام الفقيه الأستاذ النحوي أبا بكر محمد بن محمد المعافري الشهير بالقرشي قرأت العربية عليه والفقيه المسن أبا علي الحسن بن عبد الرحمان الكناني الشهير بالرفاء. وقرأت عليه مقامات الحريري ومن شعر المتنبي وأكثر الحماسة. والفقيه العالم المسن أبا بكر محمد بن محرز الزهري وقرأت عليه أكثر التلقي للقاضي أبي محمد عبد الوهاب. وسمعت عليه دولا كثيرة من الموطأ. وقرأت عليه بلفظي كتاب الترمذي كله. وسمعت عليه سنن أبي داوود بقراءة صاحبنا الفقيه أبي بكر بن حبيش. وسمعت عليه السير بقراءة أبي الحسن الدومي المعروف ببلدنا بسحنون وأنشدني جملة من نظمه. من ذلك قوله لابنه الأصغر أبي عامر «خفيف»:

يابني وليس مثلي يسهو عند وعظ يرويه مثلك عنه
أنت ضيف الدنيا قأقلل عيوبا من قراها واخش الردى من لدنه

ولقيت الفقيه العالم أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ولازمته مدة اقامته بمرسية وقرأت عليه التلقيحات للسهروردي ومختصر المستصفى للقاضي أبي الوليد ابن رشد المسمى

بالضروري وقرأت عليه بعض التلقين. وكان له عليه كلام حسن وتنبيه على مواضع منه لم أر من تفتن لها سواه. ولقيت الفقيه القاضي المسن أبا عيسى محمد بن أبي السداد وقرأت عليه بلفظي شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب مسلم بن الحجاج من أوله إلى آخره. وكتاب الترمذي. وسمعت بقراءة غيري عليه كثيراً من الكتب. وكان يروى عن الخطيب أبي القاسم بن حبیش. ولقيت الفقيه أبا بكر بن جهور الأزدي وسمعت عليه بقراءة أبي القاسم بن نبيل بعض كتاب مسلم بن الحجاج رحمهم الله أجمعين.

وممن لقيته من الرجال الصالحاء بمروسة نفع الله بهم الفقيه أبو العباس الطرسوني كان رحمه الله أحد الزهاد العباد. والفقيه أبو عبد الله السمار المؤدب. كان أحد الفقهاء الفضلاء الزهاد. والفقيه الخطيب بجامع مروسة أبو عبد الله بن فتح والفقيه الورع أبو عبد الله النجار. كان شديد الانقباض عن عشرة الناس. وتؤثر عنه في الورع أخبار حسان رحم الله جميعهم ورضي عنهم. انتهى ما وجدته بخط ابن خطاب رحمه الله. قلت لو قال ابن محرز أنت ضيف الدنيا لقام الوزن وسلم من غرابة هذا الجمع. فان جمع الدنيا غريب نادر. وقد عابه صاحب اليتيمة على أبي الطيب المتنبى في قوله «طويل»:

اعز مكان في الدنيا سرج سابح وخير جليس في الأنام كتاب

وأنشدني بيتين للشيخ الأديب الفاضل أبي الطيب صالح بن شريف الرندي رحمه الله وقد أنشدنيهما عنه أبو العباس الأبلق الكاتب. وكان لابن خميس فيهما نقد لم أرضه. فلم يعلق بخاطري. وذكره لي عن ابن خطاب وأنه لم يرضهما وذلك منهما تعسف بين وهما قوله «كامل»:

نزعات رام وهي نزع رئم شقت صميم حشاي قبل أديمي
سلت ظبا الألحاظ مرهفة على قلب أرق من الهوى المكتوم

وهذا أغرب ما يكون من الشعر وأرقه وأحسنه لفظا ومعنى. وأنشدني أيضا لابن الرومي متمثلا «كامل»:

لذوى الجدال اذا غدوا لجداهم حجج تضل عن الهدى وتحور
وهن كآنية الزجاج تصادمت فهوت وكل كاسر مكسور
والقاتل المقتول ثم لضعفه ولوهنه والأسر المأسور

وأنشدني أيضاً من حفظه قصيدة لم أقف عليها تامة. وأنشد منها أبو علي في نوادره أبياتا ولم ينسبها وهي قوله «كامل»:
يلقى السيوف بوجهه وينحره.

الأربعة الأبيات. وكذلك أنشدها أبو عبيد البكري في كتاب
التدريب غير منسوبة الا لانشاد العتي ووصلها بابيات ونسبها في
كتابه اللئائي لابن المولى وهو محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني
عمرو بن عوف قال وهو من شعراء الدولتين. وقد رأيت أثبت
القصيدة هنا بجملتها لحسنها واعوازها وهي قوله «كامل»:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| أنسيم ريقك أخت آل العنبر | هذا أم استنشاقه من عنبر |
| ونظام ثغرك مانرى أم لمعة | من بارق أم معدن من جوهر |
| أودعتني وجمال وجهك حرقة | ألهبت جمرقا بطرف أحور |
| قولي لطرفك أن يرد عن الحشى | لذغات نيران الهوى ثم أهجري |
| وانهى جمالك أن يصيب مقاتلي | فتصيب قومك سطوة من معشر |
| انى من القوم الذين جيادهم | هبت على كسر بريح صرصر |
| فأثرن نقعا ما انشت اثناؤه | حتى تشتت فوق هامة قيصر |
| فسلبن تاج الملك غصبا بالقنى | وأجزن باب الدرب آل الأصفر |
| آبائي من كهلان ارباب الورى | وبنو الملوكة عمومتي من حمير |
| ضربوا بلاد الصين بالبيض التي | ضربوا بها كسرى صبيحة تستر |
| ولأمن ما بين الشام وفارس | بالحارث الجفني وابن المنذر |
| أولاد جفنة معشري وكأنهم | آساد غيل فوق خيل ضمير |
| وطئت بيدو من قریش خيلنا | ساداها تحت القنى المتكسر |
| ونصرون في الأحزاب حزب محمد | وكسون موة ثوب موت أحر |

وطوين يوم الفتح شركاً ظاهراً
وطلعن من أرجى حنين شرفاً
ما ان يريد اذا الرماح تشاجرت
يلقى السيوف بوجهه وبنحره
ويقول للطرف اضطرب لشبا القنى
واذا الفوارس عدت ابطالها
واذا تأمل شخص ضيف مقبل
أومى إلى الكوماء هذا طارق
فإذا أردت بأن ترى أسد الشرى
كم قد ولدنا من رئيس قسور
سدلت أنامله بقانم مرهف
ان مر يوم لم يفد أكرومة
نحن الذي نذل اعناق العيدا
ولنا بيعرب بسطة من مفخر
نرعى الجوار ولا نجور على الورى
نشرت نشيراً خيلنا عن دارها
دسنا تميماً في قرار ديارها
نقري السديف ضيوفنا ورماحنا
واذا المنى وردت على اموالنا
لو رامت الجوزاء ان تعلقو على
قحطان وللدنا وهود جدنا

ونشرون أثواب الهدى في خيبر
يحملن كل سليل حرب مسعر
درعا سوى سربال طيب العنصر
ويقيم هامته مقام المغفر
فعقرت ركن المجد أن لم تعقر
عدوه في ابطالهم بالخنصر
متسربل أثواب مجد أغبر
نحرتني الأعداء ان لم تنحر
فدع الزمام لمذجج والاشعر
دامي الاظافر أو ربيع ممطر
في يوم ملحمة وذروة منبر
يعلو الأنام بيعضها لم يقدر
ونعز بالمعروف ذل المعسر
لاينكرون حضورها في محضر
وبييت فينا الوفير غير موفر
وتحطمت أرماحنا في جعفر
يوم الجفار بكل طرف مجفر
في الروع حاضرة القرى للانس
آبت محملة جميل المصدر
أعلى ذوائب مجدنا لم تقدر
بهما غنينا عن ولادة قيـدر

قال أبو عبيد البكريّ في قوله يلقي السيوف بوجهه وبنحره البيت. مذهب أكثر شعراء المدح بلباس الدروع وكمال السلاح وأنشد على ذلك قول النابغة «كامل»:

سَهْكِينَ مِنْ صَدَاِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ السُّورَى جَنَّةَ الْبِقَارِ

وقول مسلم بن الوليد يمدح بعض آل المهلب «بسيط»:
تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي ذِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَانِ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ

وأنشد على المذهب الآخر قول الأعشى «كامل»:
كُنْتُ الْمُقَدَّمُ غَيْرَ لَابِسِ جَنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِّمًا أَبْطَالَهَا

وممن لقّيته بتلمسان أبو زكريا، يحيى بن عصام وهو رجل متقلل حيي متعفف له حظّ من اللّغة. ويقرض من الشعر ما لا بأس به. وكان جار لأبي عبد الله بن خميس فكنت أجتمع به عنده كثيرا. ومما أنشدني لنفسه قوله «طويل»:

أَلَا اعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ كَأَسُّ مُدَارَةٍ عَلَى كُلِّ مَنْ قَدْ رَاحَ فِيهَا وَمَنْ غَدَا
وَعَضْبُ رُسُومٍ شِيعٍ فِي شِيعِ الْوَرَى وَمَا رِيءَ يَوْمًا بَعْدَ مَا شِيمَ مُقَمِّدَا

و أنشدني أيضا لنفسه مناقضا لبعض المعتزلة في قوله لما سمع صاحب الكشف ردّا على أهل السنّة في الرّؤية في قوله «كامل»:

لجماعة سمت هواها سنة
قد شبهوا معبودهم وتخوفوا
وجاعة حمرا لعمرى موكفه
شنع الورى فتستروا بالبلكفه
وقال ابن عصام «كامل»:

قل الذي ستمى الهذاة أولى النهى
فغدا يرجح الاعتزال جهالة
حمرا لأن سلب الهدى والمعرفة
ويروقه زور الضلال وزخرفه
عيون أولى الضلالة والسفاهة
طاحت بها هوج الرياح المعصفه
قد أحرزوا من كل فضل أشرفه
وأثوا بكل بدیعة مستظرفه
بمقاول حكمت المواضي المرفهه
الأمهاوي في الضلالة متلفه
ويعيط أذواء القلوب المدنفه
تدع الرشاد لعصبة متعسفه
من شدة عن سنن الجماعة قد غوى
أراهم يجلو البصائر نورها
أقصر فإن شقاقهم كفر فلا
جاءت بدا الكتب الصّاح معرفه

قلت وقد نظم القاضي أبو حفص بن عمر في هذا أيضا
فقال «كامل»:

أجعلتم العلماء حمرا موكفه
هذا لأنكم أولوا تلك الصفه

أجهلتم صفة الإله وفعله ونسبتموه لغيره بالزخرفه

وأردتم تزيهه فوقعتهم في الشرك والإلحاد والأمر السفه

خالفتم سنن النبي وصحبه وتبعتم في الزيغ أهل الفلسفه

قلت خفف القاضي رحمه الله الحمد. والتخفيف في فعل مطرد
إلا فيما يلبس وهو هنا يلبس بجمع أحمر فينبغي أن لا يخفف ولم يقرأ
في السبع: «كأنهم حمر مستنفرة» الا بالثقل ومن هذه الجهة أنكر
المحققون اسكان الباء في قوله: صلى الله عليه وسلم «اللهم اني أعوذ
بك من الخبت والخبائث» لما كان اسكانه يلبس بالمفرد. وسيأتي ذكر
هذا الحديث ان شاء الله تعالى. ومما عرض لي نظمه بمدينة تلمسان
جبرها الله تعالى قولي «طويل»:

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| تغربت عن أهلي اليك ومالي | وأعرضت عن قيل عداك وقال |
| تمائل في دنيائي اذ أنت مطلبني | محب له شوق الي وقال |
| سموت على قصد اليك بهمة | تري عيش كسرى مثل عين دلال |
| ولاحت لي الدنيا فأبصرت عمرها | ولو زيد أضعافا كحل عقال |
| وما عيشها الا كظل غمامة | وما ملكها الا كطيف خيال |
| وهل بعد أن أسدى اليك لطائفا | يقصر عن تبيان مقالي |
| وباشر قلبي باليقين مبردا | حرارة أشكال أخل بحال |
| أرى رافعا صوتي إلى غير جاهه | وابسط للمخلوق كف سؤال |

أبعد سطوح الشيب في ليل لمتي
أهيم بدنيا ما تساوي قلامه
أبي ذاك لي قصد إلى الله صاعد
فها أنا نحو النحو أسمى بهمتي
ولا منطقي بطلت في علم منطق
وليس كلامي في الكلام أقوده
ولا عارضت علم العروض عنايتي
وأحسب تدقيق الحساب بطلاة
ولكنني مهمما نحوت تفقها
الا لست أعني بالتفقه ما حوت
ولكنه فقه علا عن تناقض
تريد اطرادا منه كل قضية
قضايا جلاليما مثل ما لاح ساطع
قضايا اذا وفقت يشفيك حكمها
فلست لها في الكتب يوما مطالعا
وفي عقل ذي القلب المتيم رقمها
فان أنت لم توصل لحال وصاها
فدعني واياها حليف وصال

وكان رحيلنا من تلمسان بعد المقام المطول لخمس خلون من
شهر ربيع الأول فنكبنا عن طريق المدية يسارا. وسرنا لاناألوا جدا
وانشمارا. ثم وصلنا مليانة وقد ألقى جمل الأعياء جراحه وغنى بلبل

الغناء ألوانه إلى البلدة الخصبية مليانة وهي مدينة مجموعة مختصرة.
وليست مع ذلك عن أمهات المدن مقصرة أشرفت من كتب على
وادي شلف. واستشرقت نسيم طرفها من شرق في روضة جمة
الأزهار والطرف. برعت في سفح جبل حما حماها أن يرام. وشرعت
في أصل شهر شفي الهيم من الهيام. شاق منظراً. وراق مخبراً. وشفى
الظماء موردا ومصدرا يشتهي الناظر اليه وهو ريان الشروع.
ويقول: لو رش به لافاق المصروع. كان حصباءه جمان والماء من
رقته دموع. وبها جامع ملبح عجيب يدعو الشوق من رآه فيجيب.
ولكن الزمان قد عوضه من حلي عطلا وادي له من حكمته خطلاً.
وابدل هالته السهى من تلك الأقمار. وكساه بعد الخبر الأطمار.
واحل حلاله بعد الانس بانسها وحشة العمار. فلو ضرحت في
الجوى بالجواب. وافصحت عن وقوع النوى بالنوائب النواب
لانشدت باستعجال وقالت بارتجال «طويل:»

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| اعل في النفس علي أو عسى | زمان لذي عند الشيبة قد عسا |
| تعود لها تلك المفاجر ملبسا | لعل ربوعا من حلالها عواريا |
| ستجلو ظلاما حل أفقي فاليسا | لعل نجوما كنت هالة بدرها |
| ويعطف بالاحسان دهر بنا أسا | لعل انتظام الشمل يرجع ثانيا |
| لينهم عاد الأنيس معسا | رمان زمان بالنوى من أحبة |

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| فكيف ألاقي من زمانني تأنسا | نأى عمر الخبر الهمام محاضري |
| تدرع من غر الفضائل ملبسا | وقد حظيت أغمات منه بماجد |
| ونالت به أغمات مجداً مؤسسا | لقد هنت حتى شط عني مزاره |
| فصرت لأخلاق الغواة معرسا | وكنت مقيلا للهداة تؤمسه |
| فان شئت مقراة وان شئت مدرسا | وكنت لباغي والعلم ملتقي |
| أنسيك إن أبصرت خيساً ومكنساً | وكم كنت للضرغام والظي مالقاً |
| إذا ضاق خطب أو تفاقم نفسا | أراغم ريب الدهر منه بما جد |
| وعوضت عن تلك الأهلة حنسا | فحللت عن تلك الجلالة حلة |
| وليل همومي قد دجا بي وعسعا | فها أنا أشدو أن نطقتم مثلاً |
| لعل مناينا تحولن أبؤسا | وبدلت قرحاً داميا بعد صحة |

وما بقي بها من له بالعلم أدنى عناية. ولكننا قد استفدنا بها
حكاية. وهي أن بعض الكتاب كان يكتب كتابا عن أمير. فلما قرأه
عليه م يرضه. فمزقه فكتبه ثانية فمزقه. فلما رأى تعسفه أخذ
قرطاسا ظم فيه ارتجالا «طويل»:

| | |
|----------------------------|--------------------------------|
| رأيتك تكويني بمبسم منة | كأنك أنت اليوم علة تكويني |
| وتلويني الحق الذي أنا أهله | من العيش تكفيني إلى حين تكفيني |

ولم آخذ هذه الحكاية ممن أطمئن اليه: أحيل بالعمدة فيها عليه.
ولكني قيدتها لتنظر وعرضتها لتخبر فان صحت فهو الغرض والا فكم

ظنت صحة بذي مرض. ثم وصلنا إلى الجزائر وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر. ويقف على جمالها خاطر الخاطر قد حازت مزيقي البر والبحر. وفضلتي السهل والوعر. لها منظر معجب أنيق وسور معجز وثيق. وأبواب محكمة العمل يسرح الطرف فيها حتى يمل ولكنها قد أقفرت من المعنى المطلوب كما أقفر من أهله ملحوب فلم يبق بها من هو من أهل العلم محسوب. ولا شخص الى فن من فنون المعارف منسوب. وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربة أو أديب يؤنس غربة. فكأنني أسأل عن الأبلق العقوق أو أحاول تحصيل بيض الأوف. ثم وصلنا إلى مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية. وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية سنية سرية. وثيقة البنيان عجيبة الاتفاق رفيعة المياني. غريبة المعاني موضوعة في أسفل سفح جبل وعر. مقطوعة بنهر وبحر. مشرفة عليهما أشرف الطليعة متحصنة بهما منيعة. فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب. ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب. من الجوامع المشهورة الموصفة المذكورة وهو مشرف على برها وبحرها. وموضوع بين سحرها ونحرها. فهو غاية في الفرجة والأنس. ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس. وأهلها يواضبون على الصلاة فيه

مواضبة رعاية. ولهم في القيام به قهمهم وعناية. فهو بهم مأهول عامر
يتخلل أنسنه مسلك الأرواح ويخامر. وهذا البلد بقية قواعد الإسلام
ومحل جلة من العلماء والأعلام. وله مع حسن المنظر طيب المخبر.
ومع المراي الرائق المعنى الفائق. ومن الحصانة ووثاقة البنيان ما أزرى
بارم وغمدان. ولأهله من حسن الخلق والأخلاق ما أنبأ عن طيب
الهواء والماء والتربة والأعراق.

غير أنه اعتراه من الغير ما شمل في هذا الأوان البدو والحضر. قد
غاض بحر العلم الذي كان به حتى عاد وشالا. وعفا رسمه حتى عاد
طللا. وبه آحاد من طلبة العلم قد اقتصروا على مطالعة الصحف
والدفاتر. وسلكوا في ترك تصحيح الرواية طريقا لم يرضها أعلام
الأكابر. ولم أر بها من أهل الشيمة الفضلاء والطريقة المثلى أمثل من
الشيخ الفقيه الخطيب الصالح المسند الرواية أبي عبد الله محمد بن
صالح بن أحمد الكنائي الشاطبي حفظه الله. وهو شيخ على سنن أهل
الدين سلك سبيل المهتدين. مقبل على مايعينه. مشغل بعمر في طاء
الله يفنيه. دأبه الاقتصار على تجويد الكتاب. والتردد ما بين بيت
والمحراب. وقد لقي من الشيوخ أعلاما. صيره لقاءهم والأخذ عنهم
إماما. وله مع علو الرواية حظ وافر من الدراية. إلى خلق لو شاء ما

البحر صار فراتا. ودين ألزمه خشوعا واخباتا. وقد شاهدت له من
غزارة العبرة ما هو من أعظم العبرة. ولما ودعته قال لي: أنك
توحشني بفراقك. وقد أقبل عليك قلبي لأول ما رأيتك. وما كانت
مدة اقامتنا ببجاية الا يومين قرأت عليه فيهما مع كثرة الشواغل
وتسلط الهموم التي تخل بعقل العاقل بعض كتاب الموطأ رواية يحيى
بن يحيى. وناولني سائره وبعض كتابتي التيسير والمقنع للإمام أبي
عمرو الداني وناوليهما وقرأت عليه جميع قصيدة الشيخ الفقيه أبي
القاسم قاسم بن فيره الرعيني الشاطبي في القراءات. وحدثني بها عن
الشيخ الفقيه الخطيب المقرئ أبي بكر محمد بن وضاح اللخمي
سماعا عن ناظمها الشيخ الفقيه الامام أبي القاسم المذكور. ووجدت
على ظهر أصله من هذه القصيدة تنبيها بخطه على الاختلاف في
كنية الناظم المذكور هل هي أبو القاسم أو أبو محمد؟ قلت وهما
معاً صحيحتان. وأهل مصر لا يعرفونه الا بأبي القاسم. ولهم نظر
هذه القصيدة. وعندهم توفي في عقب جمادى الآخرة عان تسعين
وخمسمائة. ومدفنه بمقبرة البيساني وكان يكنى في الأندلس بأبي
محمد. وبه كناه جميع شيوخه الأندلسيين الذين قرأ عليهم فيما كتبوا
له كأبي الحسن بن هذيل وغيره. وعادة الناس إلى الآن مختلفة في

تكنية أبي القاسم على الوجهين المذكورين. وقرأت عليه أيضاً بعض
كتاب الشمائل للترمذي وبعض كتاب رياضة المتعلمين للحافظ أبي
نعيم وناولني سائرهما. وناولني المفردات لأبي عمرو وكتاب فضل قيام
الليل، وكتاب فضل تلاوة القرآن للإمام أبي بكر الأجري. وأجازني
إجازة عامة. وكتب لي بذلك خط يده. وقيد لي جملة من أسماء
شيوخه ومروياته وقد جمع ذلك في برنامج له قرأته عليه حين لقيته
المرّة الثانية حسبما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وسألته عن مولده.
فأخبرني أنه كان في التاسع والعشرين من ذي القعدة عام أربعة عشر
و ستمائة. وقرأت عليه حديث كميل بن زياد عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه من رياضة المتعلمين وحدثني به عن الشيخ الرواية أبي
الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن السراج سماعاً عليه بقراءة الشيخ
العالم أبي عبد الله القضعي عن أبي القاسم بن بشكوال بسنده فيها إلى
كميل. قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني
إلى ناحية الجبان فلما اصحرت نفس الصعداء ثم قال: يا كميل. إن
هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير يا كميل احفظ عني ما
أقول لك الناس ثلاثة: فعالم رباني و متعلم على سبيل نجاه. و همج
رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم

يلجأوا إلى ركن وثيق. يا كميل العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل معرنة العلم دين يدان به. به يكسب الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه. يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون ما بقى الدهر. اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ثم قال: ها ان هاهنا لعلماء جما وشار بيده إلى صدره لو اصبحت له حملة بلى اصبحت لقنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين في طلب الدنيا. ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الا لاذا ولا ذاك! او منهوما باللذة سلس القيادة للشهوة او مغرما بالجمع والأدخار ليس من رعاة الدين في شيء أقرب شيء بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامله ثم قال: اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا واما خائفا مغفورا لئلا تبطل حجج الله وبياناته وكم ذا و اين أولئك ، والله، الاقلون عددا والاعظمون عند الله قدرا يحفظ الله بهم حججه وبياناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعونها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم

على حقائق الامور فباشروا روح اليقين و استلalnوا ما استوعره
المترفون و انسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
أرواحها معلقة بالملكوت الأعلى اولئك خلفاء الله في أرضه و الدعاة
إلى دينه آه آه شوقا إلى رؤيتهم واستغفر الله لنا ولهم انصرف يا
كميل اذا شئت. وقرأت عليه فيما يسنده إلى علي أيضا. قال: ان من
حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه
اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض. ولا تشير اليه بيدك. ولا تفشين له
سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عشرته فان زل انتظرت او بته
وقبلت معذرتة. وان تدخره وتعظمه لله ولا تمشي امامه. وان كانت
له حاجة سبقت القوم الى خدمته ولا تتبر من طول صحبتة. فانما هو
بمترلة النخلة. تنتظر ما سقط عليك منها منفعة. واذا جئت فسلم على
القوم وخصه بالتحية. واحفظه شاهدا وغائبا. وليكن ذلك كله لله.
فان العالم اعظم اجرا من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله. واذا
مات عالم انتملت في الاسلام ثلثة الى يوم القيامة. لا يسدها الا
خلف مثله. وطالب العلم تشيعة الملائكة من السماء. وقرأت عليه
فيها بسنده الى الحارث الاعور عن علي ايضا قال: قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم: ان امتك ستفتن من بعدك فسئل رسول الله

صلى الله عليه و سلم: ما المخرج من ذلك. قال: كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتريل من حكيم حميد. من ابتغى العلم في غيره أضله الله و من ولي هذا الأمر من جبار فحكم بغيره قصمه الله. هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم. فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل. وهو الذي سمعته الجن فلم تنناه ان قالوا: أنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد لا يخلق عن طول الرد و لا تنقضى عبره و لا تفى عجائبه. ثم قال للحارث خذها يا أعور. وانشدني أيضا لنفسه حفظه الله « طويل »:

أرى العمر يفنى و الرجاء طويل و ليس إلى قرب الحبيب سبيل
حياه اله الخلق احسن سيرة فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابه و يسمح دهر بالمرار بخيل
دللت عليه في أوائل اسطري فذاك نبي مصطفى ورسول

و انشدني ايضا قال: انشدني الشيخ الفقيه الخطيب ابو محمد عبد الله ابن عبد الرحمان بن عبد الله هو ابن برطله لنفسه « خفيف »:

اسلمنى للبلا وحيدا من هو في ملكه وحيد
قضى علي الفناء حتما فلم يكن عنه لي محيد
وكيف يبقى عريق تـرب بذاته اولا صعيد

يعيده آخره اليه من نعته المبدي المعيد

و انشدني كذلك له أيضا « طويل »:

ايا ناظرا نحوي ترحم لمراحل أته المنايا في ثياب مقيم
فلم يلتمس زادا سوى حسن ظنه و من يتغني زادا لدار كريم

قلت و اظن هذا الشعر مأخوذا من قول آخر « المتقارب »:

قالت لي النفس أذاك الردى و أنت في بحر الخطايا مقيم
و ما انتقيت الزاد قلت ارعوي هل يحمل الزاد لدار كريم

و انشدني ايضا كذلك له « كامل »:

دنياك مهما اعتبرت فيها كجيفة عرضة انتهاب
ان شئتها فاحتمل اذاها و اصبر على خلطة الكلاب

قلت وكان هذا أيضا مأخوذ من قول الآخر. اخبرني به
الشريف ابو الحسن علي بن احمد اجازة عن الشيخ أبي الحسن محمد
بن احمد بن القضاعي المؤرخ عن الامام ابي الفرج بن الجوزي مما
انشده في صفة الدنيا « طويل »:

وهل هي الا جيفة مستحلة عليها كلاب همهن اجتذاها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها ريشتك كلاها

و اما ضبط هذا الاسم فقد قيده عن شيخنا أبي عبد الله: ابن
برطله بتاء التأنيث المنقلبة هاء في الوقف وبضم الباء والطاء، وقيده
الفقيه ابو الحسن بن رزين بضم الام و هاء ساكنة. وقال هكذا ثبت
عنه. وهو من أهل مرسية. علم من أعلامها وعالم من علمائها.
خطب بها وبيجاية بخطب بليغة من انشائه. وولى القضاء بمواضع من
عمل تونس. وبها استقر أخيرا بعد اسر ناله مرتين. وحج ثم رجع إلى
تونس. فتوفي بها عام أحد وستين وستمائة. وقرأت عليه أيضا أول
قصيدة أبي عبد الله بن أبي الخصال التي سماها معراج المناقب
وناولنيها. وحدثني بها عن ابن السراج قراءة عن أبي القاسم بن
يشكوال وابن غالب الشراط سماعا عليهما بقراءة خاله ابي بكر محمد
بن خير عن ناظمها المذكور و اولها «طويل»:

اليك همي و الفؤاد يبثرب و ان عاقني عن مطلع الوحي مغرب

ثم وصلنا الى بني ورار. ثم الى ميلة فلم نر الا رسوما بحوادث
الدهر محلية. يقتصر في وصفها من اراد ان يعمل بيانه على ما تقدم
من وصف مليانه. وكتاها على شكل مدينة ليست بثمينة ولا متينة.
عمل البلاء. فيهما وفي السكان وادخل الجميع في خبر كان. وفي
كيلتهما عين تسح وعنصر يجود ولا يشح وبنو ورار اعمر المحليين

وعينها اغزر العينين. تسقى البلد نهلا وعللا وتفيض عليها غللا
يشقى غللا. و عين ميلة في داخل البلاد. ليست بفيض و لا ثمد. وقد
طويت طيا بديع الأحكام وبنيت بنيانا يدل على فرط الاعتناء
والاهتمام تقف عليه النواظر وقوف استغراب وتصفه اللسنة على
جهة الاغراب وكفى ببلد خلاء وفناء الا يحوي ما يوصف الا ماء
وبناء. ثم وصلنا إلى البلد الذي نشفت الخطوب معينة. وأبت الأقدار
أن تكون له معينة. بلد الوضع العجيب والموضع الخصيب مدينة
قسطنطينة جبر الله صدعها. وكفاها من نوائب الدهر ما واصل فرعها.
وهي مدينة عجيبة حصينة غير أنها لخطوب الزمان مستكينة. قد
ذبلت بيوارح الغير وفوادح الضرر. ونضبت لسهام الآفات وعظام
الملامات حياضها حتى صارت كالحسناء لبست أسمالا والكريم فقد
مالا. والبطل أثخنه الجراحة حتى لا يطيق احتمالا. فهي ترى
الحوادث لها وتنادى بلسان الحال ذل لو أجد ناصرا «خفيف»:

من رأيت المنون خلدن ام من ذا لديه من ان يضام خفير

وبها للأوائل آثار عجيبة. ومبان متقنة الوضع غريبة وأكثرها من
حجر منحوت. يعجز الوصف اتقانه ويفوت وقد دار بها واد شديد
الوعر. بعيد القعر. احاط بها كما يحيط السوار بالمعصم. ومنعها

كما يمنع النوق الأعصم. ولكن سهام الدهر لا تقيها الجنن ولا تمنع منها القنن. وريب المنون وصرف الزمن قد أعتت الحيلة فيها من ومن. ولم أر بها من ينتمي الى طلب. ولا من له في فن من فنون العلم أرب. سوى الشيخ ابي علي حسن بن بلقاسم بن باديس وهكذا قيد لي اسم أبيه بخطه مخلوطا. وقال لي انه اسم وكنية. وهو شيخ من أهل العلم يذكر فقها و مسائل ذو سمت وهيبة ووقار. وليس في البلد من يذكر بعلم سواه البتة. وليست له بالرواية عناية. ولم يرو الا الموطاء وحده. فانه قرأه على الشيخ الفقيه المحدث أبي يعقوب يوسف بن موسي الغماري المحساني حين خطر على قسنطينة راجعا من المشرق. فاقام عندهم مدة لتوالى الامطار. فقرأه عليه وهو اذ ذاك كبير. وفارقه وهو عنده مجهول وما عرف من هو حتى عرفته به حين رأيت خطه الذي كتب له على الموطا. وقد قرأت عليه صدرا منه. وحدثني به عنه. وسمعتة يقول: سمعت الشيخ الصالح المسن حسن الحلفاوي يقول: عمرت خمسا وثمانين سنة ما تم لي بها سرور قط الا ثلاثة ايام، يوم دخولي مكة، ويوم وقوفي بعرفة، ويوم دخولي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسمعتة أيضا يقول: وقع الكلام بين يدي الفقيه الامام ابي الحسن اللخمي رحمه الله في حكم السفر الى

الحج مع فساد الطرق. وهل الأولى تركه احتياطاً على النفس أو الاستسلام في التوجه إليه. وكان اللخمي مائل إلى ترجيح الترك قال: وكان في المجلس رجل واعظ. فقال له: يا فقيه تسمع ما أقول. فقال له: نعم، فانشده «بسيط»:

ان كان سفك دمي اقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمي

فاستحسن كل من حضر مترعه. وانفصل المجلس على أن الأولى تحمل الخطر في التوجه والاعراض عن تلك العوائق. وسأله عن الأديب أبي علي حسن بن علي بن عمر القسطنطيني المعروف بابن الفكون فذكر لي أنه أدركه وهو طفل صغير. ولم يحفظ له مولوداً ولا وفاة ورمت أن أجد من يروي عنه قصيدته المشهورة في رحلته من قسطنطينة إلى مراکش. فلم أجده فقيدها هنالك غير مروية وكان القسطنطيني كتب بها إلى أبي البدر بن مردنيش وهو بقسطنطينة وهي هذه «مديد»:

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| أبى البدر الجواد الأريحي | ألا قل للسري بن السري |
| ويا بحر الندى بدر الندي | أيا معنى السيادة والمعالي |
| وما قد حزت من حسب علي | أما وبحقك المدي جلالاً |
| وما أوتيت من خلق رضي | وما بيني وبينك من ذمام |

لقد رمت العيون سهام غنج
فحسبك نار قلبي من سعي
وكننت أظن أن الناس طرا
فلما جئت ميلة خير دار
وكم اورت ظباء بني ورار
وجئت بجاية فجئت بدورا
وفي أرض الجزائر هام قلبي
وفي مليانة قد ذبت شوقا
وفي تنس نسيت جميل صبري
وفي مازونة مازلت صبا
وفي وهران قد أمسيت رهنا
وأبدت لي تلمسان قدودا
ولما جئت وجدة همت وجدا
وحل رشا الرباط رشي رباطي
واطلع قطر فاس لي شموسا
وما مكناسة إلا كناس
وإن تسأل عن أرض سلا فقيها
وفي مراکش يا ويح قلبي
بدور بل شمس بل صباح
انخن مصارع العشاق لما
بقامة كل اسمر سمهري
و ليس سوى فؤادي من رمي
وحسبك دمع عيني من أتى
سوى زيد وعمرو غير ششيء
أمالتي بكل رشي أبي
أوار الشوق بالريق الشهوي
يضيق بوصفها حرف الروي
بمعسول المرافف كوثر ري
بلين العطف و القلب القسي
وهمت بكل ذي وجه وضي
بوسنان المحاجر لودعي
لظامي الخصر ذي ردف روي
جلبن الشوق للقلب الخلي
بمنخنث المعاطف معنوي
و تمني بطرف بابلي
مغارهن في قلب الشجي
لأحوى الطرف ذي حسن سني
ظباء سائدات للكمي
أتى الوادي فطم على القري
هي في هي في هي
سعين به فكم ميت وحي
ومقلة كل أبيض مشرفي

إذا أنوني الولدان حسنا أنسيهم هوى غيلان هي
فها أنا قد اتخذت الغرب دارا وأدعى اليوم بالمراكشي
على أن اشتياقي نحو زيد كشوقي نحو عمرو بالسوي
يقاسمني الهوى شرقا و غربا فيا للمشرقي المغربي
فلي قلب بأرض الشرق عان وجسم حل بالغرب القصي
فهذا بالغدو يهيم غربا وذاك يهيم شرقا بالعشي
ولولا الله مت هوى ووجدنا وكم لله من لطف خفي

قلت: قال أهل اللغة الغنج والغنج الدل و حسن الشكل فقوله:
لقد رمت العيون سهام غنج غير ملائم. وقائله لا يسلم من لائم
ولا يحسن في الأدب خطاب ذوي الرتب بمثل قوله: فحسبك نار قلبي
من سعيير و اذا نعني على ابي الطيب المتنبي قوله «طويل»:
كفى بك داء ان ترى الموت شافيا

وقوله «طويل»:

إذا لبست الدهر مستمتعا به تحرقت و الملبوس لم يتحرق
قد علم أن المخاطب بذلك غير ممدوح. فما الظن بهذا وقوله:
أما وبحقك المبدى جلالا البيتين وقوله. بوسنان المهاجر لوذعى

موضوع في غير موضوعه. فان الوسن انما يوصف به الجفن
والعين والطرف وما جرى مجراه. كما قال عدي بن الرقاع»
كامل»:

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة و ليس بنائم
وأفرطوه حتّى جعلوه مرضا. فقال النابغة « كامل»:
نظرت اليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود
وتبعه جرير فقال « بسيط»:

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا

وأما المحاجر فما وصفها أحد بالوسن فيما أعلم. وترتيب
اللوزعي مع وصف المحاجر كترتيب الدل مع الشنب. والتحاكم في
ذلك الى كثير. وقوله معنوي بعد منحنث المعاطف أبعد من هذا ولقد
استربت به حتى ظننت أنه مصحف ولا أتبرأ فيه من تصحيف وذكر
الانحنات في المعاطف ليس بدون هذا في القبح. فان اللفظ وان كان
له أصل في اللغة في اللين والتشي فقد رفعه كثرة الاستعمال في وجه
آخر وإنما جرت عادة الشعراء في وصف المعاطف بذكر التشي واللين
والانعطاف لا بالانحنات. وقوله رشا رباطي لفظ محتمل جاف ما

جلبه إلا التجنيس وإذا وجد الرشا والرباط فما بقي إلا الضرب. وأي
رقة مع هذه الألفاظ الجافية. ولو قال رشا ارتباطي لكان أقرب مع
بعده. لأنه أراد التماسك و التثبيت فالارتباط به اليق و قوله مغارهن
في قلب الشجي خارج عن اعتدال الكلام. فإنه أراد بما ذكر من
غروهن في القلوب اشتغالها على حبهن وليس إذا غرب حبهن في
القلوب فقد غربن فيها. ولا يحسن أن يقال مطالعهن قطر فاس
ومغرب حبهن قلب الشجي وإنما يحسن أن يذكر في غروهن ما
يغيهن من النواظر كالخدور ونحوها وبذلك جرت عادة الشعراء وهو
مستعمل كثير نحو قوله «كامل»:

قمرا إذا استخرجته بعتابه لبس الغروب ولم يعد لطلوع

ومنه قول أبي الطيب: بأبي الشمس الجانحات غواربا. فهذا الرجل لم
يخالف مبدعا ولم يؤلف متبعا وقوله بدور شمس بل صباح نزول
مفرط وعكس للرتبة فان الشمس اشهر من الصباح وأنور والانتقال
من التشبيه بالأعلى إلى الأدنى أشبه بالذم منه بالمدح ولا سيما مع
الاضراب وقوله بهي في بهي في بهي غير منطبق على صدر البيت. ولا
ملائم له. ولو قال بدور في خدور في قصور لجاء عليه عجز البيت
ألين من العقد بجيد الحسنة وأوفق من الجود للروضة الغناء وقوله إذا

أنسوني الولدان حسنا ضعيف ساقط لأن التمثيل و التشبيه يجب أن يكونا في كل صنعة بما تعارفها أهلها واشتهر عندهم. هذا على تقدير التقييد في الولدان. فكيف واللفظ بهم مطلق يدخل تحته كل ما يسمى ولدا. وقوله فهذا بالغدق يهيم غربا كلام غير محصل فإن الجسم العربي من القلب لا يهيم وإنما يهيم القلب. وليست الباء هنا ظرفية بمعنى في لان الهيمن لا يتخير الأوقات وما أضعف حبا لا يهيج إلا مرة في اليوم. وإنما هي للالصاق أي هذا يشواق في وقت الغروب إلى الغدق وذلك في وقت الشروق إلى العشي شوقا من هذا إلى الشرق ومن ذاك إلى الغرب وهو معنى حسن لو ساعده اللفظ. ثم وصلنا إلى مدينة بونة فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة. مبسوبة البسيط ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة. تلاحظ من كتب فحوصا ممتدة وتراعي من البحر جزره ومدته. تغازلها العيون من جور النوائب وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب. وقد ازعج السفر عن حلولها فلم أقض و طرا من دخولها. ومن أغرب المسموعات أنا صادقا وقت المرور بها زويرقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج. واسروا من البر أشخاصا فامسكواهم للقداء بمرسى البلد. وتركناهم ناظرين

في فدائهم. ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير. ثم مررنا على قرية خولان. ولم يعرج عليها من أصحابنا انسان. ولم أرى بها ما يتعرض له بينان ولا ما يعمل فيه قلم ولا لسان سوى أن فناءها رحب المسرح وبسيطها أبسط من غيره وأشرح. ولكن أيدي الخطوب قد زوته فانزوى وأظلمات أهله وهم شوع في الماء الروي. ثم وصلنا إلى مدينة باجة وهي مدينة جرعها الدهر اجاجه. قد هتكها الأيدي العادية. وفتكت فيها الخطوب المتmadية حتى صارت وهي حاضرة بادية فخشوعها لائح وضراعتها بادية وقد حدثت بها أن أهلها لايفارقون السور خوفا من العربان. وانهم يستعدون لدفن الجنائز كما ليوم الضراب والطيعان. ولم نقم بها إلا ظل نهار. فلم اختبر لذلك حالها حقيقة الاختبار. وما رأيت بها من له إلى العلم انتماء ولهفته نحو المعارف ارتقاء سوى الأديب النحوي أبي علي حسين بن محمد الطبلي بالطاء و الباء الساكنة بواحدة وهو رجل له مقول منقاد وذهن مشتعل وقاد حسن الخلق مقبول الصورة ولكن همته فيما رأيت على علم العربية مقصورة. وقد جمع أكثر مؤلفاتها واحتفل في تحصيل مصنفاتها. فاجتمع له من ذلك ما دلّ على نبلة واعانه على تسديد نبلة سألته عن نسبته المتقدمة.

فقال لي هو لقب جرى علينا قديماً. واشتهرنا به. وقد قرأت عليه بعض كتاب «المقرب في النحو». وحدثني بجميعه قراءة على مؤلفه الشيخ الأستاذ النحوي أبي الحسن علي بن مومن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور بن عصفور أملاه عليه وان مولده عام السيل بأشبيلية سنة سبع و تسعين وخمسائة. قال وتوفي بثمر تونس كلاها الله يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة عام تسعة و ستين و ستمائة. وحدثني به وبغيره من تأليفه اجازة عنه شيخنا الفقيه المحصل الرواية أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأسدي بالقيروان وأفادني أبو علي المذكور حكاية عن أبي محمد الحريري لم يذكر لها سنداً وهي أن رجلاً طلب منه إعارة كتاب كان يمسكه كثيراً للمطالعة فأنشده ارتجالاً «طويل»:

سهر فؤادي منذ عشرين حجة وصيقل ذهني والمفرج من همي
قيح على مثلي اعارة مثله وآيته ان لا يفارقه كمي

وقد ذكرتني هذه الحكاية حكاية أخرى عن الحريري حكاها لي الفقيه. القاضي الحاج ابو أمية الدلائي رحمه الله رأيت تقييدها بهذا الموضوع والحديث شجون وهي ان رجلاً رحل إليه ليقراً عليه فلما جاءه سأله عن قصده.

ما أنت أول سار غره قمر — ورائد خدعته خضرة الدمن
فاركض برجلك مصرا اني رجل — شبه المعيدي فاسمع بي ولا ترني

قُلْتُ خَفَّفَ الدَّالُ مِنَ المَعِيدِي وَ هُوَ الأشْهَرُ. وَالْأَصْلُ فِيهِ
التَّثْقِيلُ. وَإِنَّمَا خُفِّفَ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَ كَانَ
الْكِسَائِيُّ يَرَى التَّشْدِيدَ فِي الدَّالِ، وَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ تَصْغِيرُ رَجُلٍ
مَنْسُوبٍ إِلَى مَعَدٍ، وَلَمْ أَسْمَعْ هَذَا مِنْ غَيْرِهِ. وَ الْمَثَلُ أَنَّ تَسْمَعَ بِالْمَعِيدِي
خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَ الْعَامَّةُ لَا تَذَكُرُ أَنْ، ثُمَّ ذَكَرَ
الْإِخْتِلَافَ فِيمَنْ قَالَهُ، وَ فِيمَنْ قِيلَ فِيهِ. ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ تُونِسَ،
مَطْمَحِ الْأُمَمِ، وَمَصَابِ كُلِّ بَرْقٍ، وَمَحَطِ الرِّحَالِ مِنَ الْغَرْبِ
وَالشَّرْقِ. وَ مَلْتَقَى الرِّكَابِ، وَالْفَلَكَ، وَنَاطِمَةُ الْبَرِّ فِي سَبِيلِكَ. فَإِنْ شِئْتَ
أَصْحَرْتَ فِي مَوْكِبٍ، وَإِنْ شِئْتَ أَبْجَرْتَ فِي مَرْكَبٍ، كَأَنَّهَا مَلَكَةٌ،
وَالْأَرْبَضُ لَهَا إِكْلِيلٌ. وَأَرْجَاؤُهَا رَوْضَةٌ، بَاكَرَتْهَا رِيحُ بَلِيلٍ. إِنْ وَرَدَتْ
مَوَارِدُهَا، تُنْقَعَتْ غَلِيلًا، وَإِنْ رَدَّتْ فَرَائِدُهَا، شُفِيَتْ حَشَا غَلِيلًا.
جَلِيَتْ بِهَا غُرُوسُ الْغُرُوسِ. وَحَلِيَتْ بِهَا عَلَى مَمَرِ الدَّهْرِ الطُّرُوسُ، لَا
تَنْشُدُ بِهَا ضَالَةً مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا وَجَدَتْهَا، وَلَا تَلْتَمِسُ بِهَا بَغِيَّةَ مَعُوزَةٍ إِلَّا
اسْتَفَدَتْهَا، وَأَهْلُهَا مَا بَيْنَ عَالَمٍ، كَالْعِلْمِ رَافِعٍ بَيْنَ أَهْلِهِ لِلْعِلْمِ، وَمَعْطَلٍ

حدّ الظبا بحدّ القلم. ومسلم على ربع بذي سلم. شاك من وجده
فرط الألم. فاقت بحسن معانيها، وإتقان مغانها غيرها من المدن.
وطالت وسطت بنحوها، وانتخبت بسطوتها على قواعد الشرق
والغرب، وصالت وترجم حسننها البهيج، وعرفها الأريج عن معناها،
ولو نطقت لقلت «طويل»:

أنا الغادة الحسنة فاق جمالها قالت يميناً لا خطبت على زوج
إذا الغانيات ارتدن وصل بعولة فمالي ولا فخر إلى الزوج من حوج
أعدي إذا ما شئت ضياء بقفرة وأطرق نون اليم في الحضيض إلى الأوج

وهذه المدينة كلاها الله، من المدن العجيبة الغريبة، وهي في غاية
الاتساع، ونهاية الإتقان. والرّحام كثير بها. وأكثر أبواب ديارها،
معمول به عضائد وعتبا. وجلّ مبانيها من حجر منحوت، محكم
العمل، ولها أبواب عديدة. وعند كلّ باب منها ربض متّسع على
قدر البلد المستقلّ. ولو اتّفق أن يكون بها ماء جارٍ، لكانت معدومة
النّظير شرقاً وغرباً. ولكنّ ماءها قليل. و في ديارها مصانع لماء المطر.
وهو المستعمل عندهم. و أمّا السّاقية المخلوبة من ناحية زغوان. فقد
استأثر بها قصر السّلطان وجنانه إلّا رشحا يسيرا سرب إلى ساقية
جامع الزّيتونة، يتسرّب منها في أنابيب من رصاص، ويستقي منه

الغرباء و مَنْ ليس له في داره ماء. ويكثر عليها الازدحام. وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأتقنها، وأكثرها إشراقا. ودائره مسقف، ووسطه فضاء. قد نُصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدر، وشدّت إليها حبال متينة في حلق، من حديد، مثبتة فيها وفي السّقوف شداً مُحكما. فإذا كان يوم الجمعة، نُشرت عليها شقق الكتّان المطبّقة الموصولة، حتّى تُظلّل جميع الفضاء. ذلك دأبهم فيها حتّى ينصرم فصل الصّيف. وأمّا السّاقية المذكورة، فهي من جملة غرائب الدّنيا، و هي قديمة من عمل الرّوم. مجلوبة من جبال بجنوب تونس، على مسيرة يومين أو نحوهما، في أوعار، وأودية منقطعة، وجبال، و آكام. فإذا انتهوا بها إلى جبل أو تل خرقوه وسربوا الماء فيه وإذا انتهوا إلى واد أو وهد بنوه قناطر بعضها فوق بعض حتّى يستوي مع مجرى الساقية بصخر منحوت اتقن ما يكون من البناء واغربه واوثقه حتّى ينسرب الماء منها في مستو معتدل. واتصلت هذه الساقية بهذا العمل حتّى دارت من وراء تونس إلى الغرب وانتهت إلى مدينة قرطاجنة وبينها وبين تونس اثني عشر ميلا. وهي من أعجب مدن الأرض وأغربها لما يحكى عنها من فرط الاعتناء وغرابة الصنعة وحسبك ان هذه الساقية من جملة الاعتناء بها. وأمّا الرخام فمنها

يجلب إلى كل موضع بإفريقية قديما وحديثا ولا يفنيه ذلك منها. وهي الآن دائرة لا أنيس بها. وأهل تونس يخرجون إليها تفرجا وتعبدًا. والقناطر من تونس إليها معطلة وهذه القنطرة تعرف عندهم بالحنايا. وهي مما يقصر عنها الوصف لفرط إتقانها وغرابتها. ويذكر أن الروم أقاموا في تدبيرها والنظر في وضعها أربعمئة سنة وهذا بعيد. وأما أبو عبيد البكري فحكى أن عملها فرغ حتى استوى فيها جري الماء في أربعين سنة وهذا يشبه مع الاعتناء التام والأدوات الكاملة والقوة الوفرة وقد كان بعض الأمراء وهو أخو القائم بها الآن احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة قبله فأقام في عملها مجتهدا بأقصى ما يمكنه أعواما عديدة. ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه بل اقتنع بتسديده كيف ما أمكن مع قلته وتفاهته بالإضافة إلى غيره وما زالت مدينة تونس كلاها الله دار ملك وضحامة: وهي إلى الآن دار مملكة إفريقية على ضعف المملكة بها وانتهائها إلى حد التلاشي ومع ذلك فقد اربت على البلاد في كل فضيلة. وما رأيت لأهلها نظيرا شرقا وغربا شيما فاضلة وخلالا حميدة ومعاشرة جميلة وقد كان الأخلاق بمن شاهد أخلاقهم أن يطنب في وصفهم ويضرب على من يمنحهم

الوداد وينصفهم إذ ذاك من بعض واجبهم وأقل مراتبهم. ولكن الزمان لا يعين على توفية الحقوق. ولا يتعمد بالفراغ إلى أهل العقوق. وناهيك من بلد لا يستوحش به غريب ولا عدم فيه كل فاضل أريب. يبدؤون من طراً عليهم بالمداخلة ويخطبون منه لفضل طباعهم المواصله: فهو منهم بين أهل مشفق ورفيق مرفق. وقد كان بعض أخيار طلبتها وحسبائهم لازمني مدة الإقامة بها وترك لأجلى مهمات أموره. وعرفني بفضلائها وكان لا ينفصل عني عامة النهار. وكثرا ما كنت أمر بمن لا يعرفني من أهلها فاسأله عن الطريق إلى ناحية منها. فيقوم من حانوته ماشيا بين يدي يسأل الناس عن الطريق وديدل بي وهذا من أغرب ما يسمع من جميل الأخلاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ولو لا أني دخلتها لحكمت بأن العلم في أفق الغرب فن محي رسمه و نسي اسمه وضاع حظه وقسمه. ولكن قضى الله بأن الأرض لا تخلو من قائم له بحجة يرى سبل الحق ويوضح المحجة وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله واردا وحائما وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر يجلو الفخار بهم عن محيي سافر وينير علمهم. وقد القت ذكاء يمينها في كافر. ولكنه لم يقض لي حين

ورودها أن اقضي الوطر من لقاء جميع مذكورها ومعدودا بسبب وظائف السفر ولوازمه واقتصار معربه على اعمال جوازمه وكان حكم السفر قد استمر وتمادى فلم ألق بها من أهل العلم إلا آحادا. منهم الشيخ الأديب الفقيه الفاضل المسند المسن أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي. وهو شيخ وظيفي الأكتاف لين الجانب لقاصديه له رواية عالية لكبر سنه. أدرك جملة من أفاضل العلماء وروى عنهم. منهم الشيخ الفقيه الخطيب المقرئ جده لأمه أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن خلصة الحميري. والقاضي أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي. وصحب أبا القاسم بن الطيلسان. وأخذ عنه كثيرا. وأخذ عن جماعة من أهل الأندلس بها وبالعدوة. وقد جمع أسماءهم في برنامج له قرأته عليه حين لقيته ثانية حسبما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى ولقيته حين وردت، ونس فقرأت عليه بعض الموطاء رواية يحيى بن يحيى. وناولني سائره. وحدثني به عن الشيخ الفقيه القاضي بن بقي قراءة عليه لبعضه وسماعا لسائره بأسانيده المعروفة. وقرأت عليه لبعضه وسماعا لسائره بأسانيده المعروفة. وقرأت عليه بعض كتاب التيسير للإمام أبي عمرو المقرئ وناولني سائره وسمعت عليه دولا من صحيح مسلم وقد سمع جميعه

على القاضي أبي القاسم بن بقي وناولني فهرسته وفهرستي جده أبي جعفر والقاضي أبي القاسم بن بقي تخريج ابن الطيلسان. وحدثني بهما وبما تضمناه عنهما وأجازني في كل ما تصح روايته عنه اجازة عامة. وكذلك أجاز ولدي محمدا وفقه الله. وكتب لي بذلك خط يده ولقيته مرة ثانية في رجوعي من المشرق. فقرأت عليه أشياء يأتي ذكرها في موضوعه ان شاء الله من هذه المرحلة. ومنهم الشيخ الأستاذ النحوي الأديب الفاضل المحدث الرواية أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري الليلي وهو شيخ مسن قوي الرجاء حسن الظن بأهل الدين سريع العبرة. رحل قديما إلى المشرق فحج ولقي جماعة من الأئمة بالاسكندرية ومصر والشام والحجاز. وله برنجان صغير وكبير في أسماء شيوخه وعدة تأليف منها شرح الفصيح وشرح أبيات الجمل وغير ذلك. لقيته وجالسته أياما فقرأت عليه جملة صالحة من أول كتاب الموطأ رواية يحيى بن يحيى وجميع كتاب الجامع من آخره. وناولني سائره مرارا وحدثني بجميعه بأسانيده المرسومة في برنامجه. وقرأت عليه جملة من قصيدة الشيخ الإمام أبي القاسم الشاطبي في القراءات وحدثني بها عن صهر أبي القاسم المذكور زوج ابنته كمال الدين أبي الحسن علي بن شجاع بن سالم قراءة منه عليه بمصر عن

ناظمها المذكور وسمعت عليه مجالس من كتاب التسيير للإمام أبي عمرو المقرئ ومن كتاب الشمائل للترمذي وقرأت عليه بعضه وناولني إياها وأجازني عموما في كل ما رواه وألفه وكل ما تصح روايته عنه من منظوم ومنثور اجازة عامة واجاز ولدي محمدا وفقه الله وكتب لي بذلك خط يده حسبما سطرته. وسمعت عليه أرجوزته بالعقيدة وما ضم إليها من نثره. وكان قد أخذ بحفظها صبيان المكاتب رغبة في نشرها والانتفاع بها وحملني حتى سمعتها منهم بمحضره وحرضني على نشرها رجاء الانتفاع بذلك نفعه الله وإيائي. واخلص نيتنا في طلب العلم لوجهه الكريم بمنه ومنهم الشيخ الفقيه الأديب الفاضل ذو العناية والتهمم. صاحبنا وولينا في الله تعالى أبو عبد الله محمد بن عبد المعطي بن محمد النفزي شهر بابن هريرة حفظه الله لقيت منه خيرا فاضلا صدوقا ذا مروءة وأخلاق جميلة. وله عناية بالتاريخ وحظ من الأدب ومشاركة في غير فن أفادنا وأفدناه وجالسته كثيرا وناولني كتابه الذي جمعه في وفيات المشاهير من أهل كل فن وموالدهم ومنتف من أخبارهم وأسعني مواضع منه وأجازني سائرته وهو كتاب مفيد لولا أنه لم يرتب على ما ينبغي وقرأت عليه قصيدة الشيخ الفقيه العالم الصالح أبي محمد عبد الله بن

الشيخ الفقيه العالم الصالح أبي زكريا يحيى بن علي الشقراطسي
 التوزري وحدثني بها عن شيخه الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن
 علي بن محمد التوزري الشهير بالمصري قراءة منه عليه عن الشيخ
 الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي يحيى الطولقي عن الشيخ الفقيه
 القاضي أبي عمرو عثمان بن أبي القاسم عبد الرحمان بن حجاج عن
 الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن عمر بن حمادى بفتح الحاء وتخفيف
 الميم وآخرها ياء قبلها دال مكسورة عن الفقيه الخطيب المحدث أبي
 القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد النفطي عرف بابن الإمام وبابن
 الصائغ عن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن يخلف بن واطاس بطاء
 مشددة عن ناضمها المذكور. وذكر لي عن شيخه أبي عبد الله
 المصري المذكور أن شقراطس قصر قديم من قصور قفصة. وأنه والي
 البحث عن وفاة الشقراطسي حتى أخبره من وثق به أنها كانت في
 يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة ست وستين وأربعمائة.
 وقد رأيتان أثبت القصيدة هنا بجملتها بحلول الله تعالى وهي هذه
 (بسيط):

الحمد لله منا باعث الرسل

هدى بأحمد منا أحمد السبل

واكرم الخلق من حاف ومنتعل

خير البرية من بدو ومن حضر

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| توراة موسى أتت عنه فصدقها | إنجيل عيسى بحق غير مفتعل |
| أخبار أخبار أهل الكتب قد وردت | عما رأو وروو في الا عصر الأول |
| ضاعت لمولده الآفاق واتصلت | بشرى الهواتف في الإشراق والطفل |
| وصرح كسرى تداعى من قواعده | وانقض منكسر الأرجاء ذا ميل |
| ونار فارس لم توقد وما حمدت | مذ ألف عام ونهر القوم لم يسـل |
| ومنطق الذيب بالتصديق معجزة | مع الذراع ونطق العير والجمل |
| خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت | ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل |
| وفي دناك بالأشجار حين أتت | تمشي بأمرك في أغصانها الدلل |
| وقلت عودي فعادت في منابتها | تلك العروق باذن الله لم تـل |
| والسرح بالشام لما جئتها سجدت | شم الذوائب من افنانها الخضل |
| والجدع حن لأن فارقه أسفا | حين ثكلى شجتها لوعة الثكل |
| ما صبر من صار من عين إلى اثر | و حال من حال من حلي إلى عطل |
| حي فمات سكونا ثم مات لدن حي | حيننا فأضحى غاية المثل |
| والشاة لما مسحت الكف منك على | جهد الهزال بأوصال لها نحل |
| سحت بديره شكوى الضرع حافلة | فروت الركب بعد النهل بالعلل |
| وآية الغار إذ وقيت في حجب | من كل رجس لرجس الكفر منتحل |
| وقال صاحبك الصديق كيف بنا | ونحن منهم بمرءى الناظر العجل |
| فقلت لا تخزن إن الله ثالثنا | و كنت في حجب ستر منه منسدل |
| حمت لديك حمام الوحش جائئة | كيدا لكل غوي القلب مختبل |
| والعنكبوت أجادت حوك حلتها | فما تخال خلال النسج من خلل |
| قالوا وجاءت اليه سرحة سترت | وجه النبي بأغصان لها هدل |

وفي سراقه آيات مبينة
 إذ ساخت الحجر في وحل بلا وحل
 عرجت تحترق السبع الطباقي إلى
 مقام زلفى كريم قمت فيه علي
 عن قاب قوسين أو أدنى هبطت ولم
 دعوت للخلق عام المحل مبتهلا
 أفديك بالخلق من داع ومبتهل
 صعدت كفيك إذ كف الغمام فما
 صوبت الابصوب الواكف الهطل
 اراق بالأرض تجا صوب ريقه
 فحل بالروض نسجا رائق الحلل
 زهر من النور حلت روض أرضهم
 زهرا من النور ضافي النبت مكتهل
 من كل غصن نضير مورك خضر
 وكل نور نضيد مونق خضصل
 تحية أحية الاحياء من مضر
 بعد المضرة تروي السبل بالسبل
 دامت على الارض سبعا غير مقلعة
 لولا دعاؤك بالاقلاع لم تزل
 ويوم زورك بالزوراء إذ صدروا
 من يمن كفك عن أعجوبة مثل
 والماء ينبع جودا من أناملها
 وسط الاناء بلا نهر ولا وشل
 حتى توضأ منه القوم واغترفوا
 وهم ثلاث متين جمع محتفل
 أشبعت بالصاع الفا مرملين كما
 ارويت الفا ونصف الالف من سمل
 وعاد ما شبع الألف الجيا ع به
 كما بدوا فيه لم ينقص ولم يحل
 أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في
 عصر البيان فضلت أوجه الخيل
 سألتهم سورة في مثل حكمته
 فتلهم عنه حين العجز حين تلي
 فرام رجس كذوب ان يعارضه
 بسخف إفك فلم يحسن ولم يطل
 متبج بركيك الافك ملتبس
 ملجاج بردى الزور والخطل
 يمج أول حرف سمع سامعه
 ويعتريه كلال العجز والمثل
 كأنه منطق الورهاء شذ به
 لبس من الخبل أو مس من الخبل

امرت البير بل غارت بمجته فيها وأعمى بصير العين بالتفل
 وأييس الضرع منها شؤم راحته من بعد ارسال رسل منه منهممل
 برنت من دين قوم لا قوام لهم عقولهم من وثاق الغي في العقل
 يستخبرون خفية الغيب من حجر صلد ويرجون غوث النصر من هبل
 نالوا اذى منك لولا حلم خالقهم وحجة الله بالانذار لم تنل
 واستضعفوا أهل دين الله فاصطبروا لكل معضل خطب فادح جلل
 لاقى بلال بلاء من امية قد احله الصبر فيه أكرم النزل
 إذ اجهدوه بضنك الاسر وهو على شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
 القوه بطحا برمضاء البطاح وقد عالوا عليه صخورا جهة الثقل
 يوحد الله اخلاصا وقد ظهرت بظهره كندوب الطل في الطلل
 إن قد ظهر ولي الله من دبر قد قد قلب عدو الله من قبل
 نفرت في نفر لم ترض انفسهم إذ نافروا الرجس الا القدس من نفل
 بأنفس بدلت في الخلد اذ بدلت عن صدق بذل ببدر اكرم البدل
 من كل مهتصر لله منتصر بالبيض مختصر بالسمر معتقل
 يمشي إلى الموت عالي الكعب معتقلا اظما الكعوب كمشي الكاعب الفضل
 قد قاتلوا دونك الاقيال عن جلد وجالدوا بجلاد البيض والجدل
 وصلتهم وقطعت الاقربين معا في الله لولاه لم تقطع ولم تصل
 وجاء جبريل في جند له عدد لم تبتذلها اكف الخلق بالعمل
 بيض من العون لم تستل من غمد خيل من الكون لم تستن في طيل
 أحبب بخيل من التكوين قد جنبت لجانب عن جناب الحق معتزل
 اعميت جيشا بكف من حصى فجنثوا وعقلوا عن حراك النقل بالنقل

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ودعوة بفناء البيت صادقة | غدا أمية منها شر منخزل |
| غادرت جهل أبي جهل بمجهلة | وشاب شيبة قبل الموت من وجل |
| وعتبة الشر لم يعتب فتعطفه | منك العواطف قبل الحين في مهل |
| وعقبة الغمر عقباه لشقوته | ان ظل من غمرات الخزي في ظلل |
| وكل أشوس عاتى القلب منقلب | جعلته في قلب البير كالجعل |
| وجاثم بمشار النقع مشتغل | بجاحم من أوار الشكل مشتعل |
| عقدت للخزي في عطف مقلده | طوق الحمامة باق غير منتقل |
| امسى خليل صغار بعد نخوته | بالامس في خيلاء الخيل والحول |
| دام يديم زفيرا في جوانحه | جنح من الشك لم يجنح ولم يمل |
| يقاد في القد خنقا مشربا حنقا | يمشي به الدعر مشي الشارب الثمل |
| اوصاله من صليل الغل في غلل | وقلبه من غليل الغل في غلل |
| يظل يحجل ساجي الطرف خافظه من | مسكة الحجل لا من مسكة الخجل |
| ارحت بالسيف ظهر الأرض من نفر | ازحت بالصدق منهم كاذب العلل |
| تركت بالكفر صدعا غير ملتئم | فتاب عنك بقرح غير مندمل |
| وافلت السيف منهم كل ذي اسف | على الحمام حماء آجل الاجل |
| قد اعتقته عناق الخيل وهو يرى | به إلى رق موت رقصة العرل |
| فكم ببكة من بـاك وباكية | بفيض سجل من الآماق منسجل |
| وكاسف البال بالي الصبر جدت له | بوابل من وبال الخزي متصل |
| فؤاده من سعي الغيظ في غلل | وعينه من غزير الدمع في غلل |
| قد اسعرت منه صدرا غير مصطبر | وحملت منه صبرا غير محتمل |
| ويوم مكة إذ اشرفت في امم | يضيق عنها فجاج الوعث والسهل |

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| خوافق ضاق ذرع الخافقين بها | في قائم من عجاج الخيل والابل |
| وجحفل قذف الارجاء ذي لب | عرموم كزهاء الليل منسجل |
| وأنت صلى عليك الله تقدمهم | في هو اشراق نور منك مكتمل |
| ينير فوق أغر الوجه منتجب | متوج بعزيز النصر مقتبل |
| يسمو أمام جنود الله مرتديا | توب الوقار لأمر الله ممتثل |
| خسعت تحت بهاء العز حين سمعت | بك المهابة فعل الخاضع الوجمل |
| وقد تباشر أملاك السماء بما | ملكتم إذ نلت منه غاية الأمل |
| والأرض ترجف من زهو ومن فرق | والجو يزهر اشراقا من الجدل |
| والخيل تختال زهوا في اعنتها | والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل |
| لولا الذي خطت الأقلام من قدر | وسابق من قضاء غير ذي حول |
| هل ثهلان بالتهليل من طرب | وذاب يذبل قهिला من الذبل |
| الملك لله هذا عز من عقدت | له النبوة قبل العرش في الأزل |
| شعبت صدع قريش بعد ما قذفت | بهم شعوب شعاب السهل والقلل |
| قالوا محمد قد زارت كتائبه | كالأسد ترأر في أنيابها العصل |
| فويل مكة من آثار وطنته | وويل ام قريش من جوى أهبل |
| فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم | تلمم ولا باليم اللوم والعذل |
| أضربت بالصفح صحفها عن طوائلهم | طولا اطل مقل النوم في المقل |
| رحمت وأشج أرحام أتيح لها | تحت الوشيح نشيج الروع والوجل |
| عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف | مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل |
| أزكى الخليفة اخلاقا وأطهرها | وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل |
| زاد الخشوع وقار منه في خفر | أرق من خفر العذراء في الكلل |

وطفت بالبيت محبورا وطاف بها من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الخزي مرتكس ثاو بمثلة البهموت من زحل
حجزت بالامن اقطار الحجاز معا وحل امن وعمن منك في يمن
واصبح الدين قد حفت جوانبه قد طاع منحرف منهم لمعترف
احبب بخلة اهل الحق الخلال ام اليمامة منه يوم مصطلم
تعرفت منه أعراق العراق ولم لم يبق للفرس ليث غير مفترس
ولا من الصين صون غير مبتذل ولا من النوب جذم غير منجدم
ونيل بالسيف سيف النيل واتصلت وسل بالغرب غرب السيف اذ شرقت
وعاد كل عدو عز جانبه بذمة الله والايمان متصل
يا صفوة الله قد اصفيت فيك صفأ ألت أكرم من يمشي على قدم
وازلف الخلق عند الله مثلة قم يا محمد فاشفع في العباد وقل
والكوثر الخوض يروي الناس من ظمأ
وملت بالخوف عن خيف وعم ملل لما أجابت إلى الايمان عن عجل
عزة النصر واستوى على الملل وانقاد منعدل منهم لمعتدل
وعز دولته الغراء في الدول وحل بالشام شؤم غير مرتحل
يترك من الترك عظما غير منتشل ولا من الحبش جيش غير منجفل
ولا من الروم مرمى غير منتضل ولا من الزنج جذل غير منجدل
دعوى الجنود فكل بالجلاد صلي بالشرق قبل صدور البيض والاسل
قد عاذ منك ببدل منه مبتذل أو من شبا النصل بالاموال متصل
صفو الوداد بلا شوب ولا دخل من البرية فوق السهل والجبل
إذ قيل في مشهد الاشهاد والرسل تسمع وسل تعط واشفع عائدا وسل
برح وينقع منه لاعج الغلل

أصفى من الثلج إشراقا مذاقته أحلى من اللبن المضروب بالعسل
نحلتك الود علي إذ نحلتكه أحى بحبك منه أفضل النحل
فما بجلدي بمس النار من جلد ولا لقلبي بهول الحشر من قبل
يا خالق الخلق لا تخلق بما اجترمت يداي وجهي من حوب ومن زلل
واصحب وصل وواصل كل صالحة على صفيك في الاصبح والأصل

قلت قد ابدع هذا الناظم رحمه الله تعالى في ما نظم وشرف
هذه القصيدة بقصيده الجميل فيها وعظم فراقت معنى ومنظرا.
وشاقت حسنا ومخبرا. فهي كما وصفها أبو عبد الله المصري حين
قال يئست من معارضتها الاطماع وانعقد على تفضيلها الاجماع.
فطبقت أرجاء الأرض واشرقت منها في الطول والعرض. على أنه
رحمه الله قد أكثر فيها لأجل الصناعة التصنع. وتكلف منها ماهو
بعيد المرام شديد التمتع. واعترض في كل معنى عرض. وربما أخرج
الترع فخالف الغرض كقوله فويل مكة من آثار وطئته البيت. وقوله
وحل بالشام شؤم غير مرتحل وما جرى هذا المجرى من كلامه رحمه
الله. ولكن قصيدته بالجملة قد حلت من البلاغة في حصن ممنع.
وجلت زهاه الحسن أن يتقنع. فان أنكرت من وصفها قولاً أو سمعت
في مدحها تخطيط لولا احردت متأملة وأنشدت متمثلة «رجز»:

ما سلم البدر على حسنه كلا ولا الظبي الذي يوصف
البدر فيه كلف ظاهر والظبي فيه خنس يعرف

وقد اولع الناس بها كل الولوع. واستحسنوا من محاسنها كل
مفروق ومجموع وعنوا بها شرحا وتخميسا وعمروا بها معهدا أنيسا.
فخمسها وشرحها أبو عبد الله المصري. وقد قرأت تخميسه على
صاحبنا الفقيه أبي عبد الله بن هريرة. وحدثني به عنه قراءة
وأوله «بسيط»:

ابداً بحمد الذي اعطى ولم تسـل وذد به ريب رين الـين ولا كـسل
فالحمد أحلى جنى من طيب العسل الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمدنا أحمد السبل

وهو تخميس لا بأس به وسماه بسمط الهدى في الفخر المحمدي
وخمسها أيضا الفقيه الأديب الفاضل القاضي أبو عمر وعثمان بن
عتيق المعروف بابن عريهة. وقيده صاحبنا أبو عبد الله عريهة بالتاء.
وهو من المشاهير بإفريقية. وشعره مجموع وقفت عليه بخطه. وأكثره
قعقة ماترسل بغيث مزنا. وكما قيل جعجة ولا أرى طحنا. وقد
قراءة تخميسه على شيخ من أصحابه يعرف بأبي اسحاق التلمساني.
وحدثني به عنه قراءة وأوله «بسيط»:

أربع من العلم الاسنى على طلل فكم ضحيت ولم تفرع إلى ضلل
وان عشوت إلى نار الهدى فقل الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

وخمسها أيضا الفقيه الأديب الفاضل الا وحد أبو بكر محمد بن
الحسن بن يوسف بن حبيش رحمه الله. وهو من المتقنين المجيدين
وذوي الفضائل المبرزين واعتنى بها اعتناء تاما. وتصرف فيها على
أوجه كثيرة من تخميس وغيره. وكرر تخميسها ثلاث مرات وسماها
القرب الثلاث. حدثني بها كلها عنه صاحبنا الفقيه أبو عبد الله بن
هريرة اجازة ومناولة في أصله بخطه الذي قرأه عليه. وقد علق بحفظي
مطلع أول تخميس منها وهو قوله «بسيط»:

عزل الشباب قضى ان المشيب ولي فما التغزل من قولي ولا عملي
حمد الاله ومدح المصطفى املي الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل

ومن تأمل هذه البداية وتمكنها ومناسبة هذه الأقسام. رأى قدر
التفاوت فيما بين هذا النظم والذي قبله. اما تمكنها فلانه لما جارت
عادة الشعراء بالافتتاح بالتغزل وطأ الافتتاح بغيره بما ذكر من ان
الوقت الائق به التغزل هو عصر الشباب وان الائق بعصر الشيب هو

ذكر الله والاقبال على الحمد لله. واحسن الاستعارة في ذكر الولاية والغزل. ولما رأى أن البيت متضمن لمغنيين حمد الله تعالى ومدح رسوله صلى الله عليه وسلم. وطأ لهما معا في القسم الذي قبله حتى جاءت الأقسام والبيت في غاية التناسب كأنها نظم رجل واحد. وما ذكر من الولاية والغزل في الشباب والشيب استعارة حسنة واقعة موقعها وقد كان هذا المعنى عرض لي قديما فنظمته في بيت من قصيد. وزدت فيه معنى آخر. وهو ان الشيب لما ولي قام بأعلى الرأس خطيبا لما كان من شأن الوالي الخطبة والصعود لها على المنبر وحسن ان يستعار ذلك للشيب لما كان نذيرا زاجرا فقلت في ذلك «طويل»:

شبابي وال جاء شبي بعزله فقام بأعلى الرأس أي خطيب

وقرأت أيضا على صاحبنا أبي عبد الله تخميس أبي عبد الله المصري لقصيدة الشيخ الفقيه العالم الصالح الأوحى أبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي. وقد وسمه بعجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية وهي قصيدة مشهورة تسمى أم الفرج. قال أبو عبد الله المصري كان منشئها رحمه الله أنشأها عند شدة هالته فأقشعت. بفضل الله للحين وزالت وعادت الحال إلى أحسن ما كانت عليه وآلت لرؤيا رآها الباغي عليه قطع بها وروع بسببها فكفت يده

العادية وردت غائلته البادية. فهي لهذه المزية من أوثق العدة ووافق أسباب الفرج بعد الشدة. وكان بعض الشيوخ يحظ على حفظها وأخذ النفس منها بحظها قلت فرأيت ان اثبت القصيدة بتخميسها لما وصف من بسطها لمقبوض الوحشة وتأنيسها نظرا إلى الأمر المقصود والمعنى المعتبر وأغضاء عن اللفظ بعبه في مثل هذا مغتفر. وقد قرأتها بتخميسها على صاحبنا أبي عبد الله. وحدثني بها عن مخمسها المذكور قراءة عن الأديب أبي عبد الله محمد بن يونس بن عبد الرحمان الهينتاتي التونسي قراءة بها عليه عن الفقيه أبي العباس أحمد بن علي بن أبي بكر الميري القلعي يعرف بالبلاطي عن الفقيه الإمام أبي محمد عبد الله بن ميمون بن محمد بن الغنام القلعي عن الفقيه الإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي بن عبد الله الاذني بالذال المعجمة والنون. ويعرف بابن الرماح عن أبي الفضل بن النحوي. ونقلت هذا السند من خطابي عبد الله المصري بتخميسها فقال «المتدارك»:

يامن يشكو الم الحرج ويوى عسرا قرب الفرج

ابشر بشدا فرج ارج اشتدي ازمة تنفرج

قد آدن ليلك باليلج

وارتح للروح فلا حرج فمراقى اللطف لها درج

ومعاني الضيق لها فرج وظلام الليل له سرج

حق يغشاه أبو السرج

اليأس لدى البلوى خطر واليأس مع النعمى بطر
والقلب له أبدا وطرا وسحاب الخير لها مطر

فاذا جاء الابان تجى

والغافل عن هذا همل والنفس تملكها الأمل
وملاك الخير هو العمل وفوائد مولانا جمل

لسروح الأنفس والمهج

عم الأكوان ندى وجدى فعلى الآفاق شمس هدى
ورياض الجود تمد يدا ولها ارج محي ابدا

فاقصد محيا ذاك الارج

لله نسيم حيا أحي ومسير طريق ما أعى
فالزمه فربتما أعى ولربتما فاض الحيا

ببحور الموج من اللجج

ذو العقل يقوم بسيده ومسدده ومؤيده
ومصرفه ومردده الخلق جميعا في يده

فذور سعة وذور حرج

ونزاعهم ونزوعهم وقناعتهم وقنوعهم
وسلوهم وولوعهم ونزولهم وطلوعهم

فعلى درك وعلى درج

ومطالعهم ومراقبهم وطوالعهم وثواقبهم
ومثالبهم ومناقبهم ومعانئهم وعواقبهم

ليست في المشي على عوج

نفس عدلت نفس ظلمت نفس سلمت نفس أَلَمَت

نفس جهلت نفس علمت حكم نسجت بيد حكمت

ثم انتسجت بالمنتسج

هذي دخلت هذي خرجت هذي بقيت هذي درجت

هذي سفلت هذي عرجت فإذا اقتصدت ثم انعرجت

فبمقتصد وبمنعرج

فاضت بحرا فيه لجج صدت قوما لما انتهجوا

وهدت قوما فيها انتهجوا شهدت لعجائبها حجج

قامت بالأمر على الحجج

إقرع بابي أمل ورجا واسلك هولا واركب لججا

فرجاء الله هدى ونجا ورضى بقضاء الله حجي

فعلى مركزته فعج

احفظ أنفاسك كالسعدا واحذر أن تذهب عنك سدى

وانعم باللائح حين بدا وإذا انفتحت أبواب هدى

فاعجل لخزائنها ولج

وتوخ بقصدك آيتها وارفع بالهمة رايتها

وانهض كي تدرك غايتها وإذا حاولت نهايتها

فاحذر إذ ذاك من العرج

أترك أمرا يجنيك إذا والزم ذكرا يجزيك غدا

واهجر هجرا وهوى وقدا لتكون من السباق إذا

ما جئت إلى تلك الفرج

برهان الحق وحجته ولسان الصدق ولهجته
وطريق الرشده وهجته فهناك العيش وهجته

فلمبتهج ولمنتهج

نفس رضيت بالله جدت شكرت نعماً مهمي شكرت
وكذلك إن بخلت جحدت فهج الأعمال إذا ركدت

فإذا ماهجت إذا قمج

نفس كثفت فزجاجتها فبث بالهجر مجاجتها
وبدت في الذنب لجاجتها ومعاصي الله سماجتها

تزدان لذي الخلق السمج

عرج عن ساج مساحتها واقبض راحا عن راحتها
فلتقوي الله وراحتها ولطاعته وصباحتها

أنوار صباح منبلج

فادخل في منسب منصبها واسلك في مسلك مكسبها
واسمك في مطلع مطلبها من يخطب حور الخلد بها

يظفر بالخور وبالغنج

يامن بالحسن هوى علقا جرد عزمها وانف العلقا
حورا عينا قوى علقا فكمن المرضي لها بتقى

ترضاه هوى وتكون نج

بمعاصي الله القلب أذي وبطاعته عوفي وغذي
فيها من كل حلاك خذي واتل القرآن بقلب ذي

حزن وبصوت فيه شج

| | |
|-----------------------|---------------------|
| فحجاب النفس وآفتها | عجب توليه سلافتها |
| وأمان الطرق مخافتها | وصلاة الليل مسافتها |
| فاذهب فيها بالفهم وجي | |

| | |
|----------------------|----------------------|
| واعمر بالذكر معانيها | واقطف بالفكر مجانيها |
| والزم ما عشت مغانيها | وتأملها ومعانيها |

تأني الفردوس وتنفرج

| | |
|---------------------|---------------------|
| والهج بلطائف محجرها | وابهج بطرائف متجرها |
| وبمبردها ومهجرها | واشرب تسنيم مفجرها |

لا ممتزجا وممتمزج

| | |
|-----------------------|----------------------|
| ما من خلق أنشاه سدى | كل بالأمر بدا وغدا |
| أعمى من شاء أزلا وهدى | مدح العقل الآتية هدى |
| وهوى متول عنه هج | |

| | |
|-------------------|-------------------|
| هذا بحر وإفاضته | ما غضت منه إغاضته |
| والصعب تقدم راضته | وكتاب الله رياضته |

لعقول الخلق بمندرج

| | |
|-------------------|---------------------|
| أسباب الخوف حداقم | وأولوا التشبث عداقم |
| وله لا تكمل ذاقم | وخيار الخلق هداقم |

وسواهم من همج الهمج

| | |
|----------------------|----------------------|
| جنب عبدا جهلا غفلا | واترك بدرا إما أفلا |
| وحز الإقدام تحز نفلا | فإذا كنت المقدام فلا |

تجزع في الحرب من الراج

وارقب برقاً للسر بدا وامدد لكريم الوعد يدا
واعمر أوقاتك مجتهدا وإذا أبصرت منار هدى

فاظهر فردا فوق الثج

لله جباه قد سجدت في جنح الليل وما هجدت
أضناه الشوق وما وجدت وإذا اشتاقت نفس وجدت

أما بالشوق المعتلج

أهواه النفس ممحكة ورياض الأنس ملاحكة
وشموس الفضل مضاحكة وثنايا الحسنى ضاحكة

وقام الضحك على الفلج

وبروق الرحمة قد لمعت وغيوث النعمة قد شملت
ومعاني الحكمة قد جمعت وغيايب الأسرار اجتمعت

بأمانتها تحت الشرج

شمر بطريقك لاجبة واسلك قصدا بمصاعبة
فالقصد هدى لمصاحبه والرفق يدوم لصاحبه

والخرق يصير إلى الهرج

واقمع شهواتك بالزهد واكحل أجفانك بالسهد
وصل الصلوات لمن يهدي صلوات الله على المهدي

الهادي الناس إلى النهج

وإمام الخلق وخيرته ووسيلته وذخيرته
وعلى خالصان عشيرته وأبي بكر في سيرته

ولسان مقالته اللهج

الشاهر لسيف صرامته ومجهز جيش عرامته

لمسيلمة ويمامته وأبي حفص وكرامته

في قصة سارية الخلاج

قالي الدنيا ذي الطمرين ومزيل الريب مع الريب

ومذيق الكفر المربين وأبي عمرو ذي النورين

المستهدي المستحي باللهج

قال الشيخ أبو عبد الله رحمه الله هذا النظم على أن الشطر
النون وهو الذي تسبق إليه الظنون. وأما على أن الشطر اللام هو
الذي يرتضيه الأعلام. فيكون الرصف والنظام والوصف الذي
يقتضيه الإعظام:

المنعم في الأواء الجممل والمعمل للشورى المكمل

والقامع للشرك المحمل وأبي عمرو ذي النورين

المستهدي المستحي باللهج

جلا عن جيش العسر أذى وحمى عن عين الحق قذى

وأخا عين رقمت وقذا وأبي حسن في العلم إذا

وإلى بسحانه الخلاج

بدر يلتاح بهالته ويدل بنور دلالاته

وغيوم علوم مقالته تزهر الدنيا بجلالاته

ومحب فيه بذاك حج
وعلى باقي تلك العشرة وذوي الرضوان لذي الشجرة
وليوث صحابته الخيرة ونجوم هدايته البررة
أهل الإخلاص مع الثلج

زاد المصري رحمه الله «متقارب»:

رب هب لي عملا بعلي يشفي ظمئي وبقي عملي
ويحقق في الزلفى أمني وارحم التحوي مع ابن علي
بجلال علاك من الوهـج

قلت وفي كثير من هذا التخميس مقال. وليس لبعض أقسامه
بالبيت اتصال. وأما خمس به أولا قوله: وأبي عمرو ذي النورين
فغلط لا شك فيه لأنه يؤدي إلى قطع همزة المستهدي وبقطعها ينكسر
البيت لزيادة حرفين على وزن الخيب. وأظن أنه نبه على هذا ولم
يفته علما. فلذلك بقي على اعتقاد صحة الوجه الأول. وأما قوله
صلوات الله على المهدي فأظنه خفف فيه الياء وقطع الهمزة بعدها
ليأتي له التخميس. لأن الأقسام تبني على الترنم كحرف الروي.
وذلك موجب للمد. والادغام يمنعه ولو بنى الأقسام على الياء
المشددة كما هي في عروض البيت لزاد حرفا في أول القسم الرابع

ضرورة. لأن حركة الياء تكون إذا في كل قسم معدودة من الذي بعده لادماج البيت. فاذا عدت من القسم الرابع وقد قام وزنه كانت زائدة وانكسر الوزن ضرورة وبالله التوفيق. وقرأت أيضا على صاحبنا أبي عبد الله كتاب المذهب في الحلي والشيآت. ثم قرأت عليه جميعها في المرة الثانية حسبما يأتي ذكره إن شاء الله. وحدثني بها عن الشيخ الفقيه العالم أبي الجيش محمد بن ابراهيم بن أحمد الأنصاري قراءة عليه وعن أبي إسحاق ابراهيم بن محمد الأزديني بياء ونون بعد الدال كلاهما عن ناظمها الشيخ الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن أصبغ بن المناصف رحمه الله. وقد رأيت أن أقيد هنا أشياء مما وقع كلامي فيه بمدينة تونس كالأها الله تعالى مستعينا بالله ومستهديا له، فمن ذلك أن بعض أصحابنا من طلبتها حفظهم الله حكى لي عن الفقيه الزاهد المتصوف أبي محمد المرجاني أنه سئل في مجلسه عن سبب فرار الشيطان من الأذان فقط دون الصلاة وشأنها أعظم، ثم أجاب عن هذا بأجوبة منها أنه يفر من الأذان لئلا يشهد به للمؤذن إذ لا يسمعه شيء إلا شهد له يوم القيامة، قلت كأنه من فرط حسده يروغ عن الشهادة لمن حسده بفضيلة أو حق، وإن كان في غنى عن شهادته لقيام غيره بها. ولكن هذا الجواب يرد عليه مثل

السؤال الأول. وهو لم خص الأذان بشهادة كل شيء سمعه دور الصلاة. فكأنه سئل لم خص الأذان بفرار الشيطان منه. فقال لأن خص بشهادة الأشياء له. ومنها أن الأذان بمثابة دعاء الملك لخاصته لحضور سر. وإذا دعا الداعي تميزت خاصة الملك من غيرهم. قلت وهذا جواب غير محصل. فإن التمييز إنما يكون عند حضور السر فكان فرار الشيطان من الصلاة أنسب لهذا المعنى إذ هي السر الذي دعي إلى حضوره. وقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم، مناجاة فقال إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه به. ومنها أنه يفر من الأذان ويرسل على المصلي ليقع اختبار المخلص من غيره. قلت وهذا قاصد جدا فإنه لم يزد على ما في الحديث من تسلطه في الصلاة وعد تسلطه في الأذان ولم يجب عن السؤال بشيء. وهذه الأجوبة على وهىها أمثل ما حكى لي عنه وقد كنت أجبت الناقل عنه حين أورد السؤال علي قبل أن يذكر لي أجوبته. فإنه يمكن أن يقال إن طاعة الله بالجملة محاربة للشيطان، وجهاد له. والعدو إنما يفر عند كشف الغطاء وبلوغ الغاية في المجاهرة بالعداوة. وليس في العبادات ابلغ من هذا المعنى من الأذان. وقد عرضت هذا الوجه على الشيخ الفقيه الصالح أبي محمد عبد الله بن السيد بمدينة طرابلس فاستحسنه وقال

لي إن هذا يؤكد قوله صلى الله عليه وسلم: ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وقل داع ترد عليه دعوته حضرة النداء للصلاة والصف في سبيل الله. يعني أنهما ساعتان جهاد. وأجاب عن هذا بعض أصحابنا بأن المؤذن داع إلى الخير. والشيطان داع إلى الشر. والضدان لا يجتمعان. وهذا مليح رشيق. وفي مثل هذا المجال متسع للكلام وبالله التوفيق. وأما تخصيص الأذان بالشهادة له فيمكن أن يقال إن ذلك لأنه دعاء إلى الله وإقامة حجته على عباده. فاحتيج إلى الشهادة على التبليغ كما احتيج إليها للفصل بين المتحاكمين. فهذه الشهادة كشهادة الأمة يوم القيامة بتبليغ الأنبياء إلى الأمم على ما جاء في الحديث والله أعلم. ومن ذلك أن سائلا سأل عن قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ وقال ولما كرر لفظ إحداهما والأليق بالإيجاز أن يضمم فيكون اللفظ: فتذكرها الأخرى وأجبت إذ ذاك بجواب غير مخلص حسبما حضرني وإن لم يكن لمن حضر فيه جواب. ثم من الله عز وجل بفهم المعاني في ذلك وهو ما أرى والله أعلم. وهو أن إعادة لفظ غحداهما لتعادل الكلام وتوازن الألفاظ في التركيب وتمثل أقسام الكلام في ما اشتملت عليه من المفردات وهو المعنى في الترصيع. ولكن هذا أبلغ وأبدع لأن الرصيع

توازن الالفاظ من حيث صيغتها. وهذا من حيث تركيبها. فكأنه
ترصيع معنوي. وقل ما يوجد إلا في نادر من الكلام. وقد استغرب
أبو الفتح بن جني ما حكى عن المتنبى في قوله «طويل»:
وقد عادت الأجفان قرحا من البكا وعادت بهارا في الحدود الشقائق

قال سألته هل هو قرحى ممال أو قرحا منون. فقال لي قرحا
منون ألا ترى أن بعده وعادت بهاراً قال يعني أن بهاراً جمع بهارة
وقرحاً جمع قرحة. ثم أطنب في الثناء على المتنبى واستغرب فطنته
لأجل هذا. وبيان ما ذكرت في الآية أنها متضمنة لقسمين، قسم
الظلال وقسم التذكير فأسند الفعل الثاني إلى ظاهر حسب الاسناد
الأول ولم يوصل بضمير مفعول ليكون الأول لازماً فآتي بالثانية على
صورته من التجرد عن المفعول. أثم تى به أخيراً بعد اعتدال الكلام
وحصول التماثل في تركيبه ولو قيل إن المفعول حذف لكان أبلغ في
المعنى المذكور. وتكون الأخرى نعتاً أو بدلاً على جهة البيان كأنه
قال إن كان ضلال من أحدهما كان تذكير من الأخرى. وقدم على
الأخرى لفظ إحدهما ليسند الفعل الثاني إلى مثل ما اسند إليه الأول
لفظاً ومعنى والله أعلم، ولما وقع السؤال في هذا عرض في السؤال في
قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾

وهو أن الضمير في يكونا للرجلين لأن الشاهدين قيدا بائهما من الرجال فكأن الكلام: فإن لم يكن الرجلان رجلين وهذا محال. ولما سألت عن هذا لم يجب عنه أحد. ثم أجابوا بعد ذلك بأجوبة غير مرضية. منها ما قال الفارسي في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتَا اثْنَيْنِ﴾ إن الخبر هنا أفاد العدد المجرد من الصفة. وهذا ضعيف إذ وضع فيه لفظ الرجلين موضع لفظ الاثنين وهو تجوز بعيد. والصفة التي ذكر الفارسي التجرد منها هي الرجولية أو الأنوثة أو غيرها من الصفات. فكيف يكون لفظ موضوع لصفة ما دالاً على نفيها. وأيضاً فإن جواب الفارسي فيه نظر. وذلك أنه لم يزد على أن جعل نفس السؤال جواباً كأنه قيل له لم ذكر العدد وهو متضمن الضمير فقال لأنه يفيد العدد المجرد. فلم يزد إلا لفظ التجرد. ومما أجابوا به أن رجلين منصوب على الحال المبينة وكان تامة. وهذا أظرف من الأول. فإنه سئل عن وجه النظم وأسلوب البلاغة ونفي ما لا يليق بها من الحشو. فأجاب بالإعراب ولم يجب عن السؤال بشيء. والذي يرد عليه وهو خبر يرد عليه وهو حال. وما زدنا إلا التكليف في جعله حالاً. والذي يظهر لي من الجواب في هذا هو أن شهيدين لما صح أن يطلق على المرأتين بمعنى شخصين شهيدين قيده تعالى: ﴿من

رجالكم ﴿ ثم اعاد الضمير في قوله: فإن لم يكونا الشهيدين المطلقين. وكان عوده عليهما ابلغ ليكون نفي الصفة عنهما كما كان إثباتها لهما. فيكون الشرط موجبا أو منفيا عن الشهيدين المطلقين لأن قوله من رجالكم كالشرط. كأنه قال: إن كانا رجلين. وفي النظم على هذا الأسلوب من الارتباط وتعانق الكلام وجريه على نمط واحد ما لاختفاء به كما أن ضده من الاختلاف والترايل والتدابير والتخاذل ما يذهب رونق الكلام ويلى جدة الفصاحة. وبالله التوفيق. والذي يظهر لي أيضا من الجواب في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾ هو أن الضمير هنا وضع موضع الظاهر اختصارا لبيان المعنى بدليل أنه لم يتقدمه ما يعود عليه لفظا فكأنه قال: فإن كان الوارث اثنتين. ثم وضع ضمير الاثنتين موضع الوارث الذي هو جنس باثنتين فيه تفاوت ما لكونه مفرد اللفظ. فكان الأليق بحسن النظم والأحرى على منهج الإيجاز أن يوضع المضمرة موضع الظاهر. ثم يجري الخبر على من حدث عنه وهو الوارث فيجري الكلام في طريقه مع الإيجاز في وضع المضمرة موضع الظاهر والسلامة من تفاوت اللفظ في الاخبار عن لفظ مفرد. بمثنى. وهذا لعمر الله مما لا ينال إلا بالتأيد الإلهي والعصمة الربانية. ونظير هذا مما وضع فيه اسم موضع غيره

إيجازاً. ثم جرى الكلام مجراه في الحديث عمن هو له وإن لم يذكر قوله تعالى: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون﴾ فعاد هذا الضمير والخبر على أهل القرية الذين أقيمت القرية في الذكر مقامهم. فجرى الكلام مجراه مع حصول الإيجاز في وضع القرية موضع أهلها وفهم المعنى من غير كلفة. وهذه الغاية في البيان يقصر عن مداها شأو الإنسان وبالله التوفيق. ثم وصلنا إلى مدينة القيروان. فدخلتها مجدداً في البحث غير وإن. فلم أر إلا رسوماً محتها يد الزمان. وآثار يقال عنها كان وكان. والأحياء من أهلها جفافة الطبع. ملهم في رقة الحضارة باع. ولا في معنى من معاني الإنسانية انطباع. خفت نفس العلم بينهم فلم يبق به ومق. وكسدت سوق المعارف بينهم فياسخنة عين من رمق والمدينة نفسها ليس لها بر ولا بحر. ولا سحر ولا نحر. وضعت في سبخة قرعاء لا ماء فيها ولا مرعى ولا تنبت أصلاً ولا تغل فرعاً وما كان حالها في القلم إلا آية من آيات هذا الدين القويم. إذ أسسها المخلصون من أهله. المتمسكون بحبله. السالكون لحزنه وسهله. أهل الصرائم النافذة الماضية والصوارم القاضية والقاضية والهمم العالية الغالية. فرسان الحراب والمحراب وليوث الطعان والضراب رضي الله عنهم ما ساح

في الدر فرقد ولاح في الجو فرقد. وقد كان شأن القيروان في غابر
الزمان بحيث لا يجهله إنسان. ولا يحصله لسان حسبك ببلد وضعت
الأوضاع في فضله وملئت الأسماع من وصف وابله وطله. مأوى
العلماء والصلحاء في حياتهم. وكفايتهم بعد وفاتهم. بلد يناظر به
كل إقليم. ومتى ذكر علماءه فليس إلا التسليم. ولكنها الأيام إذا
أعطت أخذت وكلما عضت نبذت. لا توي على متعذر ولا تعرف
فضل المعذر على المعذر إن سالمتم سالمتم وإن هادنت داهنت. وإن
رافقت فارقت. ومهمي

حلت ما حلت. لاتبقي ولا تنر فليكن العاقل منها على حذر « بسيط » :
لا تظمن إلى حظ حظيت به ولا تقل باغترار صح لي وثبت
فما الليالي وإن أعطت مقادها إلا عرى المرء مهمي استمكنت وثبت

ولم أر بالقيروان ما يؤرخ ولا ما يتهم بذكره سوى جامعها
ومقبرتها أما جامعها فهو من الجوامع الكبار المتقنة الرائقة المشرقة
الأنيسة. ووسطه فضاء متسع. وكان المؤسس له والمقيم لقبته الرجل
الصالح عقبة بن نافع الفهري المعروف بالمستجاب مع جماعة من
الصحابة والتابعين. وهم المؤسسون لمدينة القيروان. ويحكى أنه لما
أمرهم ببنائها قالوا له إنك أمرتنا أن نبني في شعاب وغياض. ونحن

نخاف من السباع والهوام فمضى معهم حتى وقف عليها وقال: أيتها
السباع والهوام إنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أردنا أن
نزل ها هنا فارتحلن عنا. فرأى الناس عجبا. رأوا الأسود تحمل أشبالها
والذئاب تحمل أجراها والحيات تحمل أولادها حتى ارتحلن جميعا.
ويقال إنه قد مر عليها أربعون سنة لم تر فيها حية لدعوته رضي الله
تعالى عنه. فلما بنوها طاف حولها عقبة وأصحابه ودعوا الله لها.
وأسسوا مسجدها وأقام عقبة قبلته برؤيا رآها وإلهام. وقد سألت
إمام جامعها ومن حضر معه عن سمت قبلته فلم أجد أحدا منهم
يعرفه. ولم أبت به فأتعرف ذلك بالنجوم إلا أنه قوي عندي بالحدس
أنها كما قيل إلى المنقلب الشتوي أو تميل يسيرا إلى الجنوب. ودخلنا
به بيت الكتب فأخرجت لنا مصاحف كثيرة بخط مشرقى. ومنها ما
كتب كله بالذهب. وفيها كتب محبسة قديمة التاريخ من عهد
سحنون وقبله. منها موطأ ابن القاسم وغيره. ورأيت بها مصحفا
كاملا مضموما بين لوحين مجلدين غير منقوط ولا مشكول وخطه
مشرقى بين جدا مليح. وطوله شبران ونصف في عرض شبر ونصف.
وذكروا أنه الذي بعثه عثمان رضي الله عنه. إلى المغرب وأنه بخط
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله أعلم. وأما مقبرتها فهي من

المزارات العظيمة الشريفة وفيها من الأفاضل وأخيار الأمة ما يقصر عنه الوصف وبها قبر أبي زمعة البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقبره مشهور بها. وكذلك قبر الشيخ الولي الفقيه العالم أبي الحسن علي بن محمد القابسي رحمه الله. وأما قبر الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد رحمه الله فهو بداره داخل البلد في بيت منه على يسار الداخل. وقد زرته ودخلت البيت فوجدت فيه عدة قبور فسألت العجوز القيمة على دار عن قبره فأخبرتني أنه الذي في وسط البيت المقابل للباب. فنظرت تاريخه. فوجدته لغيره ثم أتيت الذي على يسار الباب وعيه دكان مبني فقرأت في حجر من رخام عند رجله أنه قبر الشيخ أبي محمد. وأن وفاته كانت ليلة الجمعة الثامن والعشرين أو الثامن عشر من شعبان الشك مني سنة ست وثمانين وثلاثمائة فعرفت الشيخ الفقيه المحصل أبا زيد عبد الرحمان بن محمد بما قالت العجوز وبما وجدت من التاريخ. فقال لي طراً في ذلك مشكل. وذلك أنه كان في ما مضى قد احتيج إلى تجديد السقف واستقبحوا الهدم عليهم، فأخرجت تواييتهم إلى بيت آخر، فلما أصلح السقف وأرادوا رد التواييت أشكلت عليهم وكا الشيخ أبو محمد مدفوناً قبالة الباب كما ذكرت العجوز. فلما أعيد دفنهم غلب على ظنون

أكثر الناس أنه دفن على اليسار حيث الدكان والتاريخ. وقد بذلت وسعي إذ دخلت القيروان في البحث عمن بها من أهل العلم. فلم أجد بها من يعتبر وجوده ولا يسع جهله سوى هذا الشيخ الفقيه المحدث الراوية المتفنن أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي بن عبيد الله النصاري الأسيدي من ولد أسيد بن حضير رضي الله عنه . ويعرف بالدباغ. لقيته يوم وردنا القيروان . فرأيت شيخاً زكياً حصيفاً ذا سمت رهيفة وسكون ظاهر. مجدداً لأهل العلم حن الرجاء بر اللقاء لم يؤثر الكبر في جسمه على علو سنه. ولا تغير شيء من ذهنه وحواسه. سألته عن مولده . فقال لي سنة خمس وستمائة وهو حفظه الله من أهل التهمم والعناية بالعلم مع عدم المعني به والطالب له. موطأ الأكناف لين الجانب جميل العشرة على سنن المشائخ من أهل العلم والفضل. أوجد وقته رواية ودراية. لقيت من بره وحسن خلقه ورقة شمائله ما لم إخل مثله باقياً. وما وجوده بالقيروا في هذا الأوان إلا من جملة بركات يلف أهله . وقد نيق شيوخه عن الثمانين . وله برنامج ضم فيه أسماءهم وما روي عنهم. وقد قرأت عليه بعضه. وأجازني في كل ما تضمنه وما شذ عنه من رواياته إجازة عممة . وكذلك أجاز ولدي محمداً وفقه الله. وكتب لي بذلك خط يده .

وقال لي مراراً إذا قضى الله حاجتك وحججت فلا تقم في البلاد
فإني كثير الشفقة على ولدك وقد أوقع الله حبه في قلبي منذ ذكرته
لي. ومن عجيب أخلاقه أي قل ما طلبت منه جزءاً لأنقل منه إلا
وهبه لي وقد أعطاني أكثر من عشرة أجزاء من فوائده وفوائد
شيوخه وغهارسهم. وقال لي أنت أولى بها مني فإني شيخ على الوداع
. وأنت في عنفوان عمرك ومن حين رأيتك أتغرز حبك في قلبي . وله
مجموعت وتوالمف ونظم جلد كثر ومشاركة في العلوم نقلها
وعقلها وألف كتاباً حناً مفيداً في طبقت من دخل القيروان من
الفضلاء مذ دخلها الاسلام إلى زمانه. وهو كبير في مجلدن وماء
معالم الايمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء
القيروان. وقد ذكر لي شيخنا الفقيه العالم إمام ديار مصر أبو الفتح
محمد بن علي بن وهب القسيري أنه كان كلف الفقيه الأوحد
الفاضل أبا العباس الغماري التونسي رحمه الله استنساخ هذا
الكتاب له حين صدر من المشرق . وأنه لما وصل إلى تونس اعتنى
باستنساخه له حتى كمل ثم اعتنى بتصحيحه ومقابلته فلما فرغ
منها توفي. فبيع في تركته . وأتني على مؤلفه المذكور كما ينبغي
وقد حدثني به مناولة . وسألته لم لم يذكر فيه أبا الحسن اللخمي

فقال لي لم يثبت عندي أنه دخل القيروان. وسألته عن تاريخ وفاته فقال لي توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. وذكر لي أنه قرأ ذلك في حجر عند رأسه بمدينة سفاقس حرسها الله. وناولني صحيحي البخاري ومسلم في أصله منهما. وقرأت عليه بعض الأحاديث الثنائية الإسناد من حديث مالك رضي الله عنه من تخريجه. وبعض أحاديث التساعية من تواليفه وانتقائه. وناولني سائرهما. وناولني أجزاء من عوالي حديثه وحديث شيوخه وناولني أحاديث الأربعين في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين من تأليفه وحدثني حفظه الله بحديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الله ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. وهو أول حديث سمعته منه عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن عثمان الحنفي سمع منه بالمهدية عام ثمانية وعشرين بسنده مسلسلاً وبحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صافحت بكفي هذه كف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فما مسست خزاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنده مسلسلاً بالمصافحة. وبحديث عبد الله بن مسعود في التشهد مسلسلاً يأخذ اليد اليه. قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيدي فعلمي التشهد . التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباده الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وفيه عن إبراهيم بن سعيد الجزهري رواية عن الحسين بن علي الجعفي أن هارون الرشيد قدم مكة فجلس عند الأسطوانة الحمراء. ثم قال للفضل بن الربيع بلغني أن الحسين بن علي الجعفي حاج فانظر إليه هو حتى آتية . فقال له رجل هو ذك يصلي عند المقام . فقال الفضل أنا آتيك به يا أمير المؤمنين . فإنه أحق أن يأتيك فجاء الفضل فوقف عليه فقال له إن أمير المؤمنين عزم على إتيانك . فسلم الحسين ثم قال له أنا أحق أن آتية . قال فانهض بنا . فجاء معه فاعتنقه هارون وسلم عليه وأجلسه إلى جنبه على مقعده . ثم أقبل عليه هارون وسأله عن حاله وسفره . قال ثم تنحى عنه حتى صار بين يديه وضرب بيده إلى قلم وقرطاس . ثم قال له تملي علي حديث عبد الله بن مسعود في التشهد . فقال: أخبرنا الحسن بن الحر قال أخذ القاسم بن مخيمرة بيدي وقال أخذ عبد الله بيدي كما أخذ بيدك . الحسن بن الحر . قال نعم . قال فتأخذ بيدي كما أخذ بيدك . قال فأخذ بيده في يده . قال فترك هارون يده وجعل

يقبل يد نفسه . وقال بأبي يد صافحت كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثني أيضاً وهو أخذ بيدي بسنده مسلسلاً إلى أبي الربيع الزهراني . قال حدثنا مالك وهو أخذ بيدي قال حدثنا نافع وهو أخذ بيدي قال حدثني ابن عباس وهو أخذ بيدي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيدي : من أخذ بيد مكروب أخذ الله بيده . وهذه الأحاديث كلها من مسلسلات الإمام أبي الحسن علي بن المفضل المقدسي رحمه الله . وشيخنا الفقيه أبو زيد يرويها عن الفقيه المحدث الرواية أبي عمرو عثمان بن سفيان بن عثمان التميمي التونسي . عرف بابن شقر . ويقال ابن الشقر معروفاً عن الإمام أبي الحسن المقدسي المذكور . وقد ذكر في هذا أيضاً نحو ما تقدم عن الرشيد . وهذه المسلسلات قرأتها كلها عن الفقيه الصالح أبي العباس أحمد بن محمد البطرني وسلسلتها معه . وحدثني بها عن ابن شقر المذكور قراءة . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى وأنشدني شيخنا أبو زيد وأعطانيه في ورقة بخطه . قال أنشدنا الفقيه المحدث أبو المكارم وأبو بكر محمد بن أبي أحمد يوسف الأنصاري هو ابن قطرال بثغر شاطبة وكتبه لي بخطه قال أنشدنا أبو الحجاج يوسف ابن محمد هو ابن الشيخ

البلوي وكتبه لي بخطه قال ابن مسدي وقرأت على أبي عبيد الله
محمد بن أحمد التميمي قال أنشدنا أبو محمد عبد الله بن أبي الفضل
القاضي بثغر الاسكندرية وكتبه لي بخط يده قال أنشدنا محمد بن
ابراهيم البكري وكتبه لي بخطه قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن
ابراهيم بن قاسم الطليطلي وكتبه لي بخطه قال أنشدنا أبو عبد الله
محمد بن إبراهيم بن موسى بطلبيرة لنفسه وكتبه لي بخطه «وافر»:

رأيت الأنقباض أجل شيء وأدعى في الأمور إلى السلامة
فهذا الخلق سالمهم ودعهم فخلطتهم تقود إلى الندامة
ولا تعنى بشيء غير شيء يقود إلى خلاصك في القيامة

وأنشدني أيضاً قال أنشدني أبو عمرو بن الشقر عن أبي الحسن
المقدسي عن الإمام أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي عن
الخطيب أبي زكرياء بجي بن علي التبريزي عن أبي الحسن علي بن
محمد الفالي لنفسه وهو بالفاء أخت القاف واللام المشددة كذا
وجدته بخط ابن شقر ومنه نقلت اسند والشعر: «الطويل»:

تصدر للتدريس كل مهوس بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا بيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى أبان هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

وأنشدني أيضاً قال أنشدني أبو عمرو بن الشقر قال أنشدني الفقيه
الزاهد المنقطع إلى الله سبحانه أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير
الكناني بالاسكندرية لنفسه «متقارب»:

| | |
|--------------------------|------------------------|
| تأن في الأمر لاتكن عجلاً | فمن تأني أصاب أو كاد |
| وكن بجبل الاله معتصماً | تأمن بع بغي كل من كادا |
| فكم رجاء فئال بغيتـه | عبد مسيء لنفسه كادا |
| ومن تطل صحبة الزمان له | يلق خطوباً به وأنكاداً |

وبنحوه له «متقارب»:

| | |
|-------------------------|-----------------------|
| صن العقل عن لحظة في هوى | فإن البصيرة طوع البصر |
| وغض الجفون على عفة | فإن زناء العيون النظر |

وبنحوه له «طويل»:

| | |
|----------------------------|----------------------------------|
| من الله فاسأل كل أمر تريده | فما يملك الانسان نفعاً ولا ضرراً |
| ولا تتواضع للولاء فإنهم | من الكبر في حال تموج بهم سكرأ |

وإياك أن ترضى بتقبيل راحة فقد قيل فيها إنها السجدة الصغرى
قلت: «قوله ولا تتواضع للولاء البيت ينظر إلى قول الأول «خفيف»:

| | |
|--------------------------------|---------------------------|
| قل لنصر والمرء في دولة السلطان | أعمى ما دام يدعى أميراً |
| فإذا زالت الولاية عنه | واستوى والرجال عاد بصيراً |

وفي نحو منه قول منصور الفقيه «متقارب»:

إذا عزل المرء واصلته وعند الولاية أستكبر

لأن الولاية لهم نبوة ونفسي على الذل لاتصبر

وفيه عن التواضع للولادة حكم شرعي. قال صلى الله عليه وسلم: من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه وأرى هذا الحديث مبنيًا على الحديث الآخر، وهو قوله، صلى الله عليه وسلم: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله. وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار. فصار من تواضع لغني لأجل غناه قد سقطت عنه الخصلتان الأوليان إذ صار الغناء أحب الأشياء إليه. وأحب المرء لغير الله. وإذا سقطت الخصلتان من الثلاث فقد ذهب الثلثان. فهذا وجه تخصيصهما والله أعلم. وأنشدني لابن جبير بمثل السند «خفيف»:

أيها المستطيل بالغي أقصر ربما طأطأ الزمان الرؤوسا

وتذكر قول الإلاه تعالى إن قارون كان من قوم موسى

وأنشدني له أيضاً بمثله وقد أظله عيد الأضحى بطندة قرية بمقربة من مصر «طويل»:

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة بأحواز مصر والأحبة قد بانوا
فقلت لخلي في النوى جد بدمعة فليس لنا إلا المدامع قربان
وأنشدني أيضا قال أنشدني بعض أصحاب أبي عمرو عثمان بن
الحسن وهو ابن دحية المعروف بابن جميل عنه قال ولا أدري هل هو
له أو تمثل به «طويل»:

ألا إن هذا الدهر يوم وليلة يكران من سبت عليك إلى سبت
فقل لجديد العيش لا بد من بلى وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

وأنشدني حفظه الله عند المواعدة «خفيف»:

إن نعش نجتمع وإلا فما أشغل من مات عن جميع الأنام

وهذا البيت يأتي ذكره ومن أنشده عند المواعدة في موضعه إن شاء
الله تعالى. وقد نظمت بالقيروان قصيدة بعثت بها إلى ولدي محمد
وفقه الله وكان شيخنا زين الدين بن المنير حفظه الله يستحسنها كثيراً
وسمعتها مني شيخنا الشريف الحسيب الفقيه الفاضل أبو الحسن علي
بن أحمد القرافي. وقيدها بخطه. وكتب عليها سماعه. فرأيت إثباتها في
هذا الرسم إذ هو أليق المواضع بها بحول الله تعالى وهي هذه «وافر»:

أصغ سمعا أوصك يابني وصية والد بر حفي
جرى القدر المتاح لنا بين قضاء جاء من ملك علي

وقد فتت نواكم في فؤادي وأشجت بالأسى قلب الخلي
وأبدلت المآقي عن كراها دموعاً فيضها مثل الأتي
ولولا أن حكم البين حتم يمر على المطاوع والأبي
لعاجلني الأسى بقضاء نحبي ووافني النوى برد آو جي
ولكن كل جمع لا فتراق ونشر العيش آخره لطبي
فمر على المقابر باعتبار وسل تبثك عن حي فحي
وقد شاهدت في الدنيا أموراً محرصة على نهج التقى
أمالك في قلبها اعتبار يبين قبحها من غير عي
ألم تر ما حبتك وأنت طفل فنون أذى هبا مثل الحبي
وذي جد أحلك من حشاه محل بشارة بعد النعي
وترك المنازل وثقاف عم بكم بر ونأي أب حفي
وذاك وإن أذا بك غير بدع فهذا دأبها مع كل حي
فكن بالله منها مستغيضا كفى عوضا به من كل شيء
وكن متعففاً لفرقتها ففيها وصال تواصل العيش الهني
هي الطلل الخيل وما بكاهها سوى غاو يهيم بوصل غي
يبكي في منازل مقفرات ضلالاً سنه غيلان مي
وما زالت ترد الرفع خفضا وترمي بالسناد إلى روي
سراب إن ظرت تقل شراب ولم يظفر فتى منه بري
فلا تسك يا بني بها ولوعاً وإن أبدت مطاوعة الأبي
هي العصيان شيمتها. ولكن تغر الغر نادرة العصي
وكن بالله ذا ثقة تقياً ولا تغبط بني سوى تقى

ونل بالزهد مرتبة المعالي
وليس سواه للأرواح روح
فشد به يدك وكن ضئيلاً
ولا تبذله للأطماع يوماً
وباعد ما استطعت حليف دنيا
ولا يغرك أن أبدى خيالا
فحظكما من الدنيا بلاغ
بني يسوعني أن أراك عبداً
فكن عبداً له من غير شرك
بني تسوئي منك المعاصي
قبيح أن أكون عصيت ربي
يمر المشتهي كالبرق خطفاً
تزين بالحياء فليس وصف
وجانب ما يقود اليه طبع
وكن بالعلم ذا لهج فإني
لكي تروي الحديث حديث سن
مصاييح الدجنة لو تراهم
لقيتهم وأنت هناك ثاو
محضتك يا بني النصح مني
وإن مد البقاء إلى لقاء
فترفل في حلى حلل تسامي

فلم يزهد سوى عال سري
يتيه به الفقير على الغني
بوجهك أن تعرضه لكي
فتخذه بهذا الخلق الدني
تعلق حبها من فرط غي
إلى قرب يصير غير شي
إلى لحد يسوي كل حي
لغير الواحد الصمد العلي
وإلا تأت بالأمر الفري
فلا عمرت حنانك يا بني
وتقفو أثر والدك العصي
ويترك حسرة الأمد القصي
يزان به الفتى مثل الحيسي
يرى طبعاً على الثوب النقي
أجزتك واستجزت كل حي
لأشياخ ذوي فهم سني
رأيت بدور كل دجي دجي
فيا للشكر للسعد القوي
وحق النصح للولد الرضي
كسوتك ما يزينك في الندي
إليها كل حبر ألمي

وأرجو ذاك من إنعام ربي إلا هي مالكي ثقتي ولي
وأقرأ من سلامي كل ذاك عليك يفوح بالمسك الذكي
وأقربني ضعفه في كل حين بلا أمد على خل وفي
يروح صبا جرت ويفوح روضاً بكى الوسمي فيه مع الولي
وباكره النسيم غداة صحو فنشر نشره من بعد طي
ومن ذي العرش أسأل أن يوالي لكم صون الغدو مع العشي

ثم وصلنا إلى مدينة فاس ذات المخبر الخبيث والمخيا العابس
هواء وخيم ولؤم طبع رخيم. وتضييع المصليات والمساجد وقلة اعتناء
بكل راعع وساجد. مغانيهم إلى النجوم عالية ومعانيهم أسفل
التخوم هاوية إلى عفونات تخبو لقربها المصاييح وتنحو بالخول كل
وجه صبيح. تفسد الألوان والاذهان وتضرم للمزاج المعتدل نار
الحرب العوان. تنصب على مجانيق الطوى فتقذفه بجلاميد الخوى
وترميه بسهام الروائح المنكرة عن قسي الأهوية المغيرة بأكف
الأبخرة المكدرة. فما تلبث أن تحط علاه وتهيج للأقسام حماه. تنصب
حواليه أنهار تشتعل بها في حشي الظمئان نار. ودارت به غابة من
نخيل قد طلست ثمرتها بكف كل بخيل. فلو أتاها جبلة بن الأيهم
أو حل حماها إبراهيم بن أدهم لم تنل إلا برقية الدينار والدرهم.

على أن الهواء العفن قد منعها الجفوف فليس لها على الخزير والقثاء شقوف لأنها إذا أفردت عن أشجارها القطوف بدت العفونة بها تطوف. وأما العلم عندهم فقد ركزت ريحه. والجعل لديهم لا يوسى جريحه. علم لا يتطرف إليه الخصوص و ظافر جاء على وفق النصوص وهذا حكم استفدته من العيان ونتيجة الاختبار لهم والامتحان نعم بها آحاد الفضلاء والصلحاء كالشجرة البيضاء في اللمة السوداء. يستمطر بهم المزن إذا لم يسبل سبله. والنادر لا حكم له . وقد حضرت بجامعها شيخاً يشار إليه ويعول في وازل المسائل عليه. وحواليه جماعة من أعيانها وأهل الخطط من سكانها. فقرئ عليه في المراجعة من التلقين باب استبهم عليه فيه وجه الصواب. فخطبوا فيه خبط عشواء وأتوا أثناءه بكل شوءاء وشنعاء. فمما جرى في مسألة الغلط في الثمن بالزيادة أو النقص أن اعتبار القيمة فيها لتختبر صحة قول البائع أو المشتري. وهذا كلام لا يتحصل في الذهن فضلاً عن صحته وفساده. وقالوا إن القيمة لما اعتبرت بالثمن كان المعبر إذاً هو الثمن. ثم نقضوا هذا الهواء بأن القيمة يضرب عليها الربح . وقالوا إن الثمن يعتبر دون ربح. وهذا هذيان أشد من الأول وما كفاهم ذلك حتى أخذوا في تحقيق ذلك من ألفاظ الكتاب

بتزليلها على وجوه الاعراب. وبعد مجازاة طويلة ومماراة ليست بقبليلة
وقفتهم على ما أملوا من تلك القبائح التي لم يغد يمثلها غاد ولا
راح رائج. واستبان لهم لما لاح في ليل خطبهم نهار أن بنيانهم كان
على شفا جرف هار. ولولا ما أتوقع من جدال المهالك لم أشن
وجوه الأوراق بهذه المضاحك. ولم أخلد لها ذكراً في كتاب بل
أطويها كطي السجل للكتاب. ثم قطعنا برية المراحل الحمر وهي
بيداء تغري بالرواحل الضمر. على أنها أقل البراري غرراً وأخفها
مؤنة وضرراً مأوها مورود قل ما يغيب الورود. ولكن معالمها دوارس
ومسالكها طوامس. للرمال المنهالة والرياح الروامس. ومنها إلى قريتي
زواره وزواغة ذوي الأنفس الخبيثة والقلوب الزواغة معتقدات شنيعة
وأعمال كسراب بقية ومذاهب سوء ردئة وضمائر شر عمر منهم
كل طوية. إن استنام إليهم حلج لم يوقضه إلا برد ماء التقديس
ودوي أصوات النواقيس. أو استأمن إليهم حاج لم يرعه إلا تلفيق
المعاذير عن إساءة رعي الخنازير لأنهم يبيعونها من النصارى بأبخس
الثلث. ويعتقدون كل ذلك حقاً تنتفي عنه الظن. قطع الله دابرهم
وخضد أصاغرهم وأكابرهم. ولا أخلاهم من قارعة تجتاحهم قرعاً
وتسحتهم أصلاً وفرعاً. ثم خطرنا على قرية زنזור ولم أخبرها فلم

أحدث عنها بزور. إلا أن منظرها معجب مؤنق وشجرها مخصب
مورق. ولا أدري هل مخبرها موافق أو هي ذات وجهين كالمنافق ثم
وصلنا إلى مدينة طرابلس . للجهل مآثم وما للعلم بها غرس. أقفرت
ظاهرا وباطنا ودمها الخبير بها سائرا وقاطنا تلمع لقصائدها لمعان
البرق الخلب وتريه ظاهرا مشرقا. والباطن قد قطب. اكتنفها البحر
والقفر. واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر.
وتفرقت عنها الفضائل تفرق الحجيج يوم النفر. لا ترى بها شجرا
ولا ثمرا ولا تخوض في أرجائها حوضا ولا نهرا. ولا تجتلي روضا
يحوي نورا ولا زهرا بل هي أقفر من جوف حمار وأهلها سواسية
كأسنان الحمار. ليس على ناشيء منهم فضل لذي شيبة. ولا لذي
الفضل بينهم هبة. ترى أجساما حاضرة والعقول في عقل غيابات
الغيبة. وملابس يلبسها ليلبس بها من ملأ من العيوب الغيبة. إلى بخل
لو مازج ماء البحر جمد وخالط الهواء سكن في أذار وركد. وخلق
يضيق به متسع الفضاء ونزق يحق له في ذمهم كشف الغطاء. وأذهان
أربت في الضيق على الخاتم. سواء لديها من حارب ومن سالم. كأنهم
من ضيق أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم. فسبحان من خلقهم.

وأهل تونس في طرفي نقيض. أولائك في الأوج وألاء في الحضيض. ولم أر بها ما يروق العيون. وسما عن أن يقوم بالدورن سوى جامعها ومدرستها فإن لهما من حسن الصورة نصيبا ومن اتقان الصنعة سهما مصيبا. وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المذكورة لولا أن محاسنها مقصورة على الصورة. فما يشب بها العلم طفل ولا يحج ضرورة «طويل»:

وما الحسن في وجه الفتي شرفا له إذا لم يكن في فعله والخلاق

وقد حضرت بها تدريس الشيخ المسن القاضي الخطيب أبي محمد عبد الله بن عبد السيد. وهو بيت قصيدتهم وكبش كتيبهم وواسطة قلاذهم وأنف سيادتهم ذو سمت ووقار. وقد أثر الكبر في جسمه. كثير المواظبة للمسجد والذكر. خير في دينه وما كنت آتية بعدما رأيته إلا بقصد الدعاء لأنه ضيق الخلق لين النظر وفي لسانه حبة لا يكاد يفهم معها. وقد استفرغت جهدي وقت إقرائه في تفهم ما يقول فما فهمته إلا بعد مدة. وأظنه لا رواية له. فإني سألته عن ذلك فأبهم جوابه وتنمر وحاولت مداخلته. فصدي عن ذلك بشكاسته وجهامة لقائه. وما أبعد جميع أحواله من أحوال شيخنا الفقيه القاضي الأوحى الإمام قاضي الجماعة بحضرة مراکش كالأها

الله أبي عبد الله محمد بن علي بن يحيى الشريف قدس الله تربته
وأنس في قبره غربته. فإنه كان والله، زين الدنيا والدين وهو كما قال
القائل «طويل»:

أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها وصاروا بطن الأرض فاستوحش الظهر

وتالله إن فقد مثله ليهون الرزايا. وإنه لحقيق بما قال أحمد بن
المعدل في ابن الماجشون: ما ذكرت أن الأرض تأكل لسان عبد الملك
إلا هانت الدنيا في عيني. وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبد السيد
عن آباء ماقام فيها ولا قعد. وما استفدت منه العلم فائدة سوى ما
تقدم تسطيره في قوله صلى الله عليه وسلم، إذا نودي الصلاة أدبر
الشیطان. ولما حضرت تدريسه مر لهم في دولة التفسير قوله تعالى:
﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءهم رسلهم بالبينات
وبالزبر وبالكتاب المنير﴾ فسألته ما الكتاب المنير الذي أراد هنا.
فأجاب بأنه جنس وهو بمعنى الزبر قبله باجماع من المفسرين. فقلت
له لم كرر. فقال للتأكيد. وحمد على ذلك ولا يفهم هنا للتأكيد
معنى. ولو قال كرر لما تضمنه من المدح كان كعطف النعوت بعضها
على بعض لكان أشبه. ولكن تكرار الباء يشعر بالفصل لأن فائدة

تكرار العامل بعد حرف العطف إشعار بقوة الفصل بين الأول والثاني وعدم التجوز في عطف الشيء على نفسه والله أعلم. ثم مر لهم قوله تعالى: ﴿وغيرايب سود﴾ وهي من الآيات التي صدئت فيها الأذهان الصقيلة وعادت بها أسنة الألسنة مقلولة الشبا كليلة. وذلك أن المنهج في كلامهم تقلب المتبوع على التابع فيقولون أبيض ناصع وأصفر فاقع وأحمر قان وأسود حالك وغريب. ولا يقولون ناصع أبيض ولا فاقع أصفر ولا قان أحمر لأن التابع فيه معنى زيادة الوصف فلو قدم لكان ذكر المتبوع بعده عيا إلا أن يكون لمعنى أوجب تقديمه. فلما قرعت أسماعهم بهذا سكتوا ولم يجد أحد منهم جوابا. وكان الشيخ قد ذكر ما قال بعضهم. وأضنه القاضي أبا محمد بن عطية. إنه من فصيح الكلام. فلم أقنع بذلك وقررت على ما تقدم. فسكت. ومن جملة العجائب أن شيخا ممن حضر إقراءه أراد أن يحتج عنه لما كلمته. فقال لي: إنما ذكر السود لأنه قد يكون في الغربان مافيه بياض وقد رأيته في بلاد المشرق. فلم يفهم من الآية وقد حضر تفسيرها شيئا إلا أن الغريب هو الغراب. وقد ظهر لي في الآية الأولى وجهان أردت أن أثبتهما مستخيرا الله عز وجل. أحدهما أن قوله تعالى: ﴿جائتهم﴾ يعود في الضمير على المكذبين للنبي صلى الله عليه

وسلّم، داخلا في الرسل المذكورين. والكتاب المنير القرآن. وقوله:
﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ معطوف على قوله: ﴿فقد كذب الذين
من قبلهم﴾ أي كذبوا ثم أخذتهم لقيام الحجة عليهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير وجاء تقديم قيام الحجة عليهم قبل العطف اعتراضا
للتهمم به. وهو من أرق وجوه البلاغة كما قال «وافر»:
فإنك إن أفتك يفتك مني فلا تسبق به على نفيس

وكما قال حسان رضي الله عنه «بسيط»:
فإن في حرمهم فاترك عداوتهم شرا يخاض عليه الصاب والسلع

وارى مثل هذا في آية آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿فإن
كذبوك فقد كذب رسل من قبلك﴾ الآية. وقوله جاؤوا انصرف
من المخاطبة إلى الغيبة كأنه قال: جاء هؤلاء المذكورون. فيكون النبي
صلى الله عليه وسلّم، داخلا في الضمير. وهو في موضع ﴿جاءتهم
بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير﴾. فإقام الإخبار عن الغائب مقام
المخاطب. كما قال: ﴿حتى إذ كنتم في الفلك وجرين بهم بريح
طيبة﴾ وفيها وجه من التفخيم والتعجب كما أن المخاطب إذا

استعظم الأمر رجوع إلى الغيبة ليعم الاخبار به جميع الناس. وهذا موجود في الآيتين. ومن ذلك قول النابغة الذبياني «بسيط»:
يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

والوجه الآخر أن يكون المعنى على حذف مضاف كأنه قال: ويخبر الكتاب المنير يعني القرآن. فيكون مثل قوله: ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وهذا وجه حسن قريب. وكان شيخنا زين الدين أبو الحسن المالكي الأسكندري قد استحسنته حين عرضته عليه. والحمد لله. وأما الآية الأخرى وهو قوله تعالى: ﴿وغيرايب سود﴾ فحسبك به إشكالا أن فحول المفسرين أفحموا عن القول فيه وقصروا عما يتم الغرض ويوفيه. والذي ظهر لي في ذلك بعد طول تأمل وفرط قلق فيه وتململ أن الموجب لتقدم الغرايب هو تناسب الكلم وتمائل نسق الألفاظ وجريانها على نمط متساوي التراكيب. وهو معنى قل ما يوجد في غير الكتاب العزيز حسبما تقدم في قوله تعالى: ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾. وذلك أنهما لما تقدم ذكر البيض والحمز دون إتباع كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام أن يكون السود كذلك ولكنه لما كان في السود هنا زيادة الوصف كان الأليق

بالمعنى أن تتبع بما يقتضي ذلك وهو الغرایب. فتقابل حظ اللفظ وحظ المعنى. فوفي لفظ الغرایب حظ المعنى في زيادة الوصف ووفي ذكر السود مفردا من الإلتباع حظ اللفظ إذ جاء مجردا على صورة البيض والحمـر. فاتسقت الألفاظ كما ينبغي وتم المعنى كما يجب. ولم يخل بواحد من الوجهين. ولم يقتصر على الغرایب. وإن كانت متضمنة لمعنى السود لئلا تتنافر الألفاظ. فإن ضم الغرایب إلى البيض والحمـر ولزها في قرن واحد كابن اللبون إذا ما لز في قرن . وذلك غير مناسب لتلازم الالفاظ وتشاكلها وجريها في سنن الاتفاق. وبذكر السود وقع الألتمام واتسع نسق النظام. وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام. وهذا لعمر الله من العجائب التي تكل دونها العقول ويعي بها اللسن فلا يدري ما يقول. والحمد لله على حسن عونـه. ومر لهم في دولة الموطأ حديث ابن عمر رضي الله عنه: فيمن نسي صلاة فلم يذكرها إلا وهو وراء الإمام. فقال: في الكلام عليه سمعت الإمام فخر الدين أبا علي بن رشيق بمصر يقول في تعليل قطع الصلاة: إذا ذكرت فيها صلاة أخرى إنما لقوله صلى الله عليه وسلم، من نام عن صلاة أو نسيها فيصلها إذا ذكرها فإن ذلك في وقت لها. قال: فعين النبي صلى الله عليه وسلم، وقت الذكر للفائتة. فوجب أن

يقطع التي هو فيها. فقلت هذا عام محتمل للتخصيص بمن ذكرها في غير صلاة. فاما منم ذكرها في الصلاة فخارج عن هذا العموم بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ كما خرج عنه من ذكرها في أوقات النهي عند من يرى ذلك من العلماء. ثم إن هذا التعليل لا يأتي على مذهب مالك رحمه الله لأنه لا يرى القطع واجبا بدليل أن من صلى صلوات وهو ذاكر لصلاة فإنه لا يعيد منها إلا ما بقي وقته. وبدليل أن الإمام إذا ذكر صلاة ثم قطع فقد أبطل على من خلفه. ولو كان القطع واجبا لصحت صلاة من خلفه لأنه مغلوب على القطع. كما إذا ذكر أنه جنب. ولكن القطع في ذلك استحباب. فكأن الامام متعمد له. فلذلك أبطل على خلفه وكنت أذكر هذا المعنى من كلام الشيخ الإمام أبي الحسن اللخمي على المسألة. فلما فرغت من كلامي هذا سكتوا ولم يجدوا جوابا وهذا م أشبهه إنما أثبتته تنبيها على ضعف العلم في هذا الأوان وقلة الراغب فيه لا أنني معجب فيه بنفسي. ويعلم الله أن معتقدي أن أدل دليل على فناء العلم واحياء رسومه هو كلامي وكلام أمثالي فيه فإنه م أوجبه إلا عدم علماء التحقيق. وحسبما الله وبه التوفيق. والذي أرى في الحديث الذي استدل به ابن رشيقي أنه يقصر على مثل الصورة التي

ورد فيها وهي صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، الصبح يوم الوادي بعد طلوع الشمس لا من حيث أنه وارد في صورة فإن معتقدي أن اللفظ إذا كان مستقلا بنفسه اعتبر فيما يجب له ولم يقصر على الصورة التي ورد فيها. ولكن من حيث قام الدليل أن ذلك هو المراد. وذلك أن حمله على العموم يؤدي إلى باطل متفق على بطلانه وهو أن من ذكر صلاتين فأكثر لا يؤديها أبدا. لأنه كلما وقف في صلاة ذكر فيها أخرى فتبطل عليه. فلا لتخصيص في مثل هذا ضربة لازب. والله اعلم. ولم أر باطرا بلس اثر عناية سوى ما تقدم ذكره إلا قبة باب البحر من بناء الأوائل في غاية الاتقان ونهاية الإحكام مبنية من صخور منحوتة في نهاية العظم منقوشة بأحسن النقش مرصوفة بأعجب الرصف. متماثلة المقدار علويها وسفليها ولا ملاط بين الصخور من طين ولا غيره. ومن العجيب ترتيب تلك الصخور ورصفها في الأساس فضلا عن رفعها إلى السقف ووصولها إلى هنالك مع إفراط عظمها. وفي مقعد القبة صخرة مستديرة منقوشة يحار الناظر في حسن وضعها وعلى القبة قبة أخرى عالية ومبان مرتفعة. ورأيت للقبة السفلى بابا مسدودا وعليه من خارجه صورة أسدين قد اكتنفاه مصورين من تلك الصخور بأبداع صنعة وأغربها. وهما

متقابلان على الباب وفي كل واحد منهما صورة لجام قد أمسك بعنانه شخص واقف وراءه. وقد منعه به أشد المنع. ولعل ذلك كان لمعنى تعطل وجهل سره والله أعلم. والذي في بلاد إفريقية من عجائب البناء وآثار الإعتناء أمر يضيق عنه الوصف. منها قصر لحم وسيأتي ذكره إن شاء الله. ومنها قصر يعرف بالمنارة غربي القيروان على مرحلة منه مبنى من صخور منحوتة موضوع على الأستدارة كأنه مخروط من عود. وهو من فرط إتقانه كأنه حجر واحد. وفي أعلاه طوق ناتئ من تلك الصخور على هيئة قنطف قد نحتت ورققت أطرافه حتى تجردت. وعرض من الأصل. فانت لذلك جميلة المنظر وفي اعلى القصر من كل جهة صخور بارزة من البنيان عظيمة قد نحتت مستديرة وحفرت فيها مجار للماء من السطح فصارت ميازيب متسعة المجاري في غاية الإحكام وجمال المنظر. وقد دلت آثار تلك البلدان على ضخامة مملكتهما في غابر الزمان على ضد ما هي عليه الآن. فإنها شديدة الإهمال غير سديدة الأحوال طامسة المسالك دامسة كالليل الحالك. عمراتها خراب وغدراؤها سراب وعنوانها يباب يكل عن وصف بنائها لسان المنطيق ويضيق في ميدان تبيان خلائها عنان التلفيق. حلت بها الآفات والمحن. وشفا منها الدهر على عقد لها

من حقود وإحن. لا يسلكها إلا مخاطر ولا يعدم من عرباتها إيلام
خاطر. وقد استولى لديهم الصالح والطالح واتفق في مذاقهم لكفرهم
ونفاقهم كل عذب ومالح. اتخذوا أخذ الحاج خلقا وديننا واعتقدوا
إهلاكه ملة وديننا. فماله عندهم طعمة أحلى من مال اليتيم في الولي
الفاجر اللئيم. ومن حديث إخوان الصفاء ومن الوعد على ثقة
الوفاء. لبسوا أسبال المعاوز وألفوا خلال المفاوز. فهم بها أغنى عن
الماء من ضب وأصب إلى صب الفواقر على فقر المسافر من صب.
على كل مرقب منهم عقاب يرقب الضيفان ليغزهم أمر عقاب. فما
يمر بتلك المسالك سالك. ولا يخطر على تلك المعابر عابر. ولا يرد في
تلك المناهل ناهل. إلا انقضوا عليه انقضا الصقور على البغاث.
وانكدروا عليه بحيث لا يغاث من استغاث فمزقوا أشلاءه تمزيق
الدهر للأحرار وعاثوا فيه عيث أويس في ثلة. وأسامة في صوار. لا
أمن لهم من عوادي الدهر ربرب. ولا عذب لهم من موارد الآمال
مشرب. ولا رحل عنهم يوم حتى يستخلف عليهم نكبة. ولا وردت
عليهم ساعة غلا بتحفة غظبة حتى يصيروا عبرة للبادي والحاضر.
وأحدوثة المقيم والمسافر. بحول الله الذي يسبح له الضب والنون
وأمره بين الكاف والنون فصل وقد رأيت أن أثبت في هذا الفصل ما

اعتقد أنه الفصل في حكم السفر بهذه البلاد لقضاء فريضة الله على عباده. فأقول إن المرء إن كان عري الفؤاد من أوار الهوى. خلي الأحشاء من نار الجوى. ساكن البال والبلبال. منفسح المجال على الأوجال صاحي اللب سليم الحشى. ثابت الذهن قعد أو مشى فمهما أجرى السؤال في هذا المجال وسأل عن حكم الارتحال مع هذه الأحوال أجيب بقوله: ألا صلوا في الرحال. وأما لقبه اشتغال وغرام باضطرام والتزام في احتدام وتطرق إلى تحرق. وتألق من تملق. واضطراب لاقتراب. وافتراق لاجتماع وإغراق في انخلاع. شرب من كأس الحب حتى ارتوى. وذوى بدنه من خوف النوى. وهام بذكر حاجر واللوى. نقل عن نسيم الصبا حديث نجد وروى. فحوى من علم الصباة ما حوى. واشتمل على أسرار عليها انطوى وأخذها مشافهة عن معلم الطوى سرت في جسمه حميا راح الراح. وغنت على أفنان قلبه أطيوار الارتياح. وهب له نسيم وصل اهتز له وارتاح. كما يهتز الغصن اللدن في كفاح الرياح. فهو مع الأوجال والجوى بمنزل. وعن حكم السؤال والجواب بمنزل. لا يصغي أذنا إلى نصيح. ولا يلقي أذنا إلى لاح يصيح يخاطب وغير المخاطب عنا. وينظر وإلى غير المنظور رنا. يشدو مترنما ويترنم مدندنا «بسيط»:

لم يحبب القلب حباً مثل حبكم ولم ترى العين شيئاً دونكم حسناً

فهذه حكمة حكمه وأمره أمره وإلزامه التزامه لا يمثل إلا ما به الحب أمر. ولا يسكن إلا ما سكن الهوى وعمر. فإن صحا مرة فخواطب قال: أنا ضيف عمر وإن حدد بأمر أو خوف بزيد وعمرو قال وهو مشتعل الأحشاء بالجر: دعوني فلا خوف ولا حر بوادي عوف «كامل»:

دع من أحب لأعصينك في الهوى قسماً به وبحسنه وبهائه
القلب أعلم ياعذول بدائه وأحق منك بجفنه وبمائه

ثم مررنا على بلاد مصراطة. وهو بلد لم يحو إلا جفاته. وشأنه أحقر من أن يعمل فيه الوصف مقوله أو أدواته. على أنه ذو قرى ظاهرة. ومناظر عند ظهورها باهرة. تخيل الحسن إذ نظرت وتحيله إذا اعتبرت

مساكن غصت بسكانها ولكن تراهن كالغامر
يظن بها الحسن ذو غرة وما حسن دار بلا عامر

ثم جئنا البرية الردية. وذيك معدن كل أذية. سباخ تدهش النواظر. وتذهل بفرط ما تقول الخواطر. ومياه تحمل قوى الأجسام.

وتثير كامن الأسقام. وتنفذ كما تنفذ السهام. ما يعدوها من أفلتها إلا
نضوا. لا يقل من شدة النحول عضوا. وبعد طول التعني بهذا المهمة
المرت لاحت لنا في البیداء قصور سرت ولسان حالها يقول لتريلها:
أقويت وأقفرت. فإن عدلت عدلت وإن كنت ما جرت فقد
جرت «طويل»:

لي اسم ولكن لا مسمى وراءه فلا تغترر إن كنت ذا فطنة باسم
فكم طار في الآفاق صيت مشهر لمن ماله في صالح الفصل من قسم

وهذا الاسم يطلق على عدة قصور بينها مسافة أولها يسمى
الشبيكة وهي أعمارها في هذا الوقت. وآخرها يسمى المدية. وأكثر
ما يطلق اسم سرت عليها. وحكمها كلها حكم القفار. قل ما
يعمرها إلا الأعراب ومن ليس به عبره وقد ذكر البكري في مسالكه
أن سرت مدينة كبيرة على ساحل البحر. لها نخل وبساتين. وذكر
نحو ذلك في أجدابية. وبينهما نحو من عشرة مراحل ولا وجود لشيء
مما ذكر إلا أن يكون مما غير ودثر. وأظنه أنه سمع بوجود التمر بها
فظن أن بها نخلا. والتمر إليها مجلوب من بلاد أو جلة وهو جل
عيشهم بها ومما أنشده البكري في سرت «متقارب»:

يا سرت لا سرت بك الأنفس لسان مدحي فيكم أخرس

ألبستهم القبح فلا منظر يروق منكم لا ولا ملبس
بخستم في كل أكرومة وفي فعال القبح لم تبخس

ثم سرنا من سرت سير من خاف يداً عادية أو أسداً ضارية أن
تنوشه مقتحمين لقحم الخطر. ومرتكبين لمركب الفرر. في بريتي
سنانة ومنهوشة وهما من القفار المعنية. وكل راحة فيها عن المسافر
مولية. لا معهد بهما ولا أنيس. ولا محط للرحال عن ظهر العيس.
بحر جيوش وغارات. ومقر نوائب وملمات. مأوها وشل زعاق.
ولصها بطل لا يطاق. وبعد مكابدة الأين، ومعينة الحين ومقاساة
غصة وحرقة، والسلو عن ألم وذاع وفرقة، وصلنا إلى القفر القواء
أرض برقة. فوجدنا برية هي أم البراري والقفار والمهامه التي يحار فيها
أرباب الأسفار. يستعذب عذابها المنفض من الحجاج كما استعذب
الظمان المورد الأجاج. امتدت وطالت. واشتدت وهالت. وأربدت
وحالت ولو أنشدت لقات «طويل»:

أنا الغول غالت من يطور فناءها وتخدع بالألطف طوراً وبالبر
فإن أكلوا بري شربت نفوسهم وكم بين نفس المرء في الغدر والبر

سكنها من الأعراب كل فظ غليظ. يخرج بجفائه الأحنف
ويغيظ حتى تكاد منه النفس تفيض. لا جرم أفهم يقرؤون التزليل

ويوالون المنفض بالجميل. ولا معترض للحاج عندهم وإن كان فهو قليل. والشأن عندهم في التبايع المعاوضة في المبيعات. والتبادل في المثمونات. لا يجري بينهم فيها دينار ولا درهم. وباب التعامل بهما عندهم مبهم. وقد ساوم أحد الحاج بعضهم بجمل يعطيه به بكرة وزيادة دينارين. فقال له: لا أدخل خيمتي ما لم يدخل قط خيمة أبي ولا جدي. وهذا حالهم في العينين يجهلون بهما أثمان الأشياء ويستعملون نساءهم في البيع والشراء. فلا يتوصل الحاج إلى شراء القوت إلا بعرض مبتذل وحال ممقوت ومن العجب عندهم أن كل امرأة لا بد لها من خرقة تسد لها على وجهها ويسموها البرقع. وهي تتخلل الناس مكشوفة الرأس والأطراف حافية القدمين لا تهتم بسر ما سوى وجهها كأن ليس لها عورة سواء فلا تزال تلك الخرقة عرضة للاتساخ ومرصدا لعارض الأوساخ. لاتصان فتماط عن ذقن ولا تترع فتماص من درن. حتى تصير أوسخ من عرض اللثيم وأقبح من وجه الشيطان الرجيم. فتفاجئ العيون من ذلك أشوه منظر يرى. وتسمع الأذان من وصفها أقبح حديث جرى. وما رأيت في أرض برقة مع اتساعها ما يحل بعين الراق وتعلق به مقعة الوامق سوى مسكين رأيت في خلاء من الأرض بين الرجل المشقوق وقصر

الصعافنة منقور في حجر صلد بأصل جبل على صورة دار رائعة
وعلى بابها صفة. ولها بناء مليح نقر فيه عن يمين وشمال صور بيوت
لم يتم عملها. وإذا دخلت من باب الدار ألفت قبة مليحة متسعة
مرتفعة السمك مربعة منقوشة بأبداع النقش. وفيها مصاطب قد
دارت بها حتى اتصلت بالباب. وقبالة الباب باب آخر يطلع منه على
درج إلى بيت آخر كبير وجميع ذلك منحوت في حجر صلد يفوت
الوصف اتقانه. فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وإليه المرجع
والمصير. وقد رأيت نحو هذا في موضع آخر من أرض برقة حال
الرجوع. وسيأتي ذكره إن شاء الله. **فصل :** وبرقة مدينة قديمة من
بناء الروم، وكان اسمها عند انطابلس. قال البكري ومعناها بلغة
الروم الأغريقية خمس مدن. ومعنى أطرابلس ثلاث مدن. وليس الآن
هناك مدينة تسمى برقة ولا مدينة مذكورة إلا طلميثة. وهي قديمة
ولست أدري أهى برقة فغير اسمها ثانيا إلى طلميثة كما غير أولا إلى
برقة أم هي غيرها. وبرقة الآن عند الناس اسم أرض لا اسم مدينة.
والمغاربة يسمون بها ما ردت عين أقيان من غربي اجداية إلى
الإسكندرية. وذاك نحو من أربعين مرحلة. وأما عرب تلك الأرض
فإني رأيته لا يسمون بها إلا ماردا الحصي يذكرون إلا العقبتين.

شرقا الى أرض برنيق غربا. وهو حد الغبة وما حاذها من الساحل .
ومن القبلة. ويسمون مارد الحصري إلى العقبة الكبيرة البطان. ومنها
إلى الاسكندرية لا يذكرون إلا العقبتين. وذلك مسيرة عشرة أيام
فصل : وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم وعرب الحجاز
أيضا فصحاء. ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم فلم
يختلط كلامهم بغيره. وهم إلى الان على عربيتهم. ولم يفسد من
كلامهم إلا القليل. ولا يخلون من الأعراب إلا مالا قدر له بالإضافة
إلى ما يعربون. وقد سألت بدويا لقيته يسقي إبله في الحصوى عن
ماء يقال له أبو شمال هل نمر عليه وذكرته بالواو في موضع الخفض
على عادة أهل الغرب. فقال لي نعم تطئون أبا شمال. وأثبت النون في
الفعل ونصب المفعول وليس في الغرب عربي ولا حضري يفعل ذلك.
ومررنا بأطفال منهم يلعبون فقال لنا واحد منهم يا حجاج معكم
شيء تبيعونه وأثبت النون وسكن الهاء للوقف. ورأيت أعرابيا منهم
قد ألحت عليه امرأة تسأله من طعام معه. فقال لها والله ما تذوقينه
فأتى بضمير المخاطبة على وجهه. وأثبت النون وسكن الهاء. وسمعت
شخصا ينشد في الركب مكثري راحالة ويقول من يكري زاملة
فسمعه بدوي فقال له أعندك الزاملة ؟ فقال نعم. قال فلا تقل من

يكري وقل من يستكري. وذكر لي بعض أصحابنا ممن حج معنا أن
شخصاً شرب من زمزم. فقال في هذا الماء رائحة الحبل وحرك الباء
على لغة أهل الغرب يعني الرشا المستسقي به. فسمعه أعرابي فقال له
ومن أين جاءت رائحة الحبل إلى الماء؟ فأشار له إلى الرشا. فقال له
قل الحبل ولا تقل الحبل. وأما نادر ألفاظ اللغة وما جرت عادة أهل
الغرب بتفسيره. فهم حتى الآن يتحاورون به على سجيته. فمن
ذلك أن شخصاً منهم وقف علي بموضع نزولي من محلة الركب .
وكانت التربة منه بعيدة. فقال لي ياسيدي تدعني أظهر يعني أخرج .
وسألت شخصاً منهم عن الطريق. فقال لي إذا ظهرتم من الغابة
فخذوا صوب كذا . يعني إذا خرجتم منها. وهذا اللفظ قد أكثر فيه
أهل الغريب في تفسير قول عروة بن الزبير رضي الله عنه. ولقد
حدثني عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولم أن
الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في
حجرتها قبل أن تظهر. وأتوا عليه بشواهد وأمثال. ومعت صبياً منهم
ينادي في الركب يا حجاج من يشتري الصفيق. فلم يفهم عنه أكثر
الناس فقلت اللحم معك؟ فقال نعم . وأبرز لحم ظبي مقدد . وهذا
اللفظ قد ذكره مالك رضي الله عنه في الموطأ وهمم في تفسيره .

فقال بإثر الحديث، قال مالك رضي الله عنه وصفيق القديد.
وسألت شخصا عن ماء هل هو معين ؟ فقال لي هو ماء غدق. وهذا
اللفظ فسرهُ ابو عبيد في غريبه . وسمعت آخر وقد ازدحم الناس في
مضيق . وهو يقول تنحو عن الدرب. وما يتكلمو به من الغريب
أكثر من أن يحصى . وبالله تعالى التوفيق . فصل : ومما يلي
الإسكندرية من هذه الأرض العقبة الكبيرة. وبينها وبين الإسكندرية
عشرة أيام . ثم العقبة الصغيرة . وبينها وبين الكبيرة ستة أيام . ومنها
الى الإسكندرية أربعة أيام . وكلتاها خلاء . لا ساكن بها ولا
مسكن. وأكثر مواضع هذه الأرض هكذا آسام بلا مسميات وهي
برية واحدة ممتدة إلى الإسكندرية وفي آخرها المومة المضنية الموزية
أوحش المراح على الراحل قفر لوبية . أرض تستوحش منها لنكارتها
القلوب وينسى مع رؤيتها كل خطب ينوب فقربها كرب من أعظم
الكروب . ونوبتها على المسافر من نوائب الدهر وهي ضروب»
طويل :

يصرفني شوقي إليه كما يشاء

لأضمر من حبه أضعاف ما فشا

ولولا حبيب حبه أضرم الحشا

أهيم به حيا وميتا وإنني

ترنجني من ذكره أريحىة كما اهتز غصن للنسيم إذا نشأ
تركت إليه دون من أحبة تصدع إذ فارقتهم مني الحشا
لما بت في أكنافها ليلة ولا خشيت هجرا لا فحا أن يعطشا

وبعد حفظ ما دل عليه هذا العنوان. واتصال التخمّة بتلك
الألوان من الله سبحانه بمفارقة تلك البرية. والوصول إلى مواصلة ثغر
الإسكندرية مدينة الحصانة والثاقة. وبلد الإشراف اللامع والطلاقة
وطلاوة المنظر وحلاوة المذاقة. كل عنها ظفر الزمان ونابه . ومل
منها جيش الحدثان وأحزابه. فلم تبد عليها للزمان ضراعه ولا
وكست لها في معاملاته سلع ولا بضاعة .ولا وقفت له موقف ذل
يوما ولا ساعة. بل ثبت لحربه ثبوت البطل. وصابرت كيده حتى
اضمحل سحره وبطل. ولم تصغ أذنا إلى ما يوعد به من الخنا
والخطل فهي واقفت وقوف الأطواد سامية بطرف غير قليل وجيد
غير مناد . آخذة من الكفر وأهله بالخنق أبدلتهم من الصافي المروق
الكدر المرتق . فسامروا الأسف مسامرة الندي للمخلق . ودجا
عليهم ليل هم ادلهم بعد نهار سرور تألق . واضطرم عليهم الأسا
واحتدم فحالفوا الندم . وقالوا عضولا يتفرق. مدينة فسيحة الميدان
صحيحة الاركان مليحة البنيان تسفر عن محيا جميل المنظر وترونو

بطرف ساج أحور . وتتسم عن ثغر كالأقحوان إذا نور . كأنه لم
يغب عنها شخص الإسكندرية . بما ساسا فيها من عجائب مبانيها
ودبر ناهيك بمدينة كلها عجب . قد ستر حسناتها حسن غيرها
وحجب . ووفي فيها الإتقان حقه كما وجب . وقد أغني عن تسطير
وصفها ما سطره الأعلام وضربت به الأمثال على المهارق بالأقلام
ومن من جملة إبداعاتها و أغرابها ما رأيت من إتقان أبوابها وذلك أن
عضائدها وعتبها مع إفراط طول الأبواب كلها من حجارة منحوتة
يتعجب من حسناتها وإتقانها وكل عضادة منها حجر واحد . وكذلك
كل عتبة وإسكفة . ولا أعجب من وضعها هنالك مع إفراط
عظمتها . ولم يغير طول الزمان شيئا من ذلك . ولا أثر فيه بل بقي
بجدته ورونقه . وأما مصاريعها فهي في غاية الإحكام . ملبسة
بالحديد ظهرا وباطنا بأدق ما يكون من الصنعة وأحسنه وأتقنه .
ومن أغرب ما رأيت بها عمود من رخام بظاهرها يعرف بعمود
السواري . وهو حجر واحد مستدير عال جدا على قدر الصومعة
المرتفعة . وهو يبدو من بعيد بارزا في غابة من نخيل مرتفعا عنها . وقد
أقيم على حجارة منحوتة مربعة على قدر الدكاكين العظام . علوها
أزيد من قامتين ولا يعلم كيف أقيم عليها ولا كيف ثبت هنالك مع

رياح العواصف وهو مما لا يمكن تحريكه البتة فضلا عن إقامته هنالك
وأما المنار فقد كتب الناس فيه وسطروا ما فيه الكفاية. وقد دخلته
وتأملتة وما وصلت إلى أعلاه إلا بعد جهد. ولا يظهر له من خارج
فرط علو. وهو خارج المدينة على أزيد من ثلاثة أميال وعلى تل
مرتفع بشمال البلد. وقد أحاط به البحر شرقا وغربا حتى تأكل
حجره من الناحيتين فدعم منها ببناء وثيق اتصل إلى أعلاه . وزيد
دعما بدكاكين متسعة وثيقة وضع أساسها في البحر ورفعت عنه نحو
ثلاثة قامات. وباب المنار مرتفع عن الأرض نحو أربع قامات. وبني
إليه بنيان حتى حاذاه ولم يتصل به . ووضعت عليه ألواح يمشي عليها
إلى الباب. فإن أزيلت لم يوصل إليه وفوق الباب من داخل موضع
متسع لحراسة الباب. يقعد فيه حارس وينام فيه وفي داخل المنار عدة
بيوت رأيتها مغلقة. وسعة الممر فيه ستة أشبار. وفي غلظ الحائط
عشرة أشبار. ذرعت من أعلاه. وسعة المنار من ركن إلى ركن مائة
وأربعون شبرا. وفي أعلاه جامور كبير عليه آخر دونه. وفوق الأعلى
قبة مليحة يطلع إليها في درج مشرعة النواحي. ولها محراب للصلاة .
ومن الإسكندرية إلى المنار بر متصل أحاط به البحر حتى اتصل بسور
البلد. فلا يمكن الوصول إلى المنار في البر إلا من البلد وفي هذا البر

مقابر الإسكندرية وفيها من المزارات وقبور العلماء والصالحين ما لا يعد كثرة. وفي ما سطر الناس من وصف الإسكندرية ومنازلها وما ذكروا من عجائب آثارها ما هو الغاية في إتقان الوصف وإجادته . وما يغني عن تكلف إعادته. بيد أنها الآن بلد زادت صورته على معناه. واستأثر بالفضائل مغناه. فهو كجسم حسن لا روح فيه أو برد مفوف خلا من ملتحفه. أو غمد مرقش اندق الصارم الذي كان يخفيه. أكثر أهلها رعاع ضرر بلا انتفاع مع سوء أخلاق ومرارة مذاق وقلوب رباها الضغن تربية الأولاد. وجفلها الخير والصلاح لما عمرها من الشر والفساد. الخير فيهم فعل لا يتصرف والغريب بينهم نكرة لا تتعرف. إن رأوه زادوا الوجوه جهامة. ونكروا منها ما قد نكرته الدمامة والذمامة وجمعوا قولاً رماه اللكن عن قوس العجمة سهامه الحسد فيهم مضطرم النيران وقد افسد أمزجتهم فحالت الألوان. فإن سمعوا بفاضل فهو يوم بجران. أخرسهم العي فعادوا بالصمات. فإن سبوا سكتوا. لا عن كبر ولا عن إخبات ومنهم من إضناه الحسد فالسكوت منه سبات. تمالثوا عن كل وصف شان وما زان. وتوطئوا على تطفيف المكيال والميزان. فإن عاملهم غريب لم يلق منهم إلا ما يريب يتخذونه هدفاً ولكل منهم فيه سهم

مصيب. حتى يخرج من ماله بغير نصيب. لا ترجى منهم فيئة إنابة
ولا تلقى منهم فئة رافة ولا عصابة. ولا ينفع الغريب في معاملتهم
أن يقول لا خلافة . حسبك ببلد أربي في الحسن على البلاد. وله من
الرديلة كل طارف وتلاد. وليس به من أهل الفضل إلا آحاد. قلوا
عددا واتحدوا كل الاتحاد. فهم فيه أقل من التوفيق غرباء بينهم في
كل معني وطريق. ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة
دينه وأعرب أنهم يعترضون الحجاج ويجرعونهم من بحر الإهانة الملح
الأجاج ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج يبحثون عما بأيديهم
من مال. ويأمرون بتفتيش النساء والرجال. وقد رأيت من ذلك يوم
وردنا عليهم ما اشتد له عجي وجعل الانفصال عنهم غاية أربي
وذلك انه لما وصل إليهم الركب جاءت شرذمة من الجرس لا حرس
الله مهجتهم الخسيصة. ولا أعدم منهم لأسد الآفات فريسة. فمدوا
في الحجاج أيديهم . وفتشوا الرجال والنساء. وألزموا أنواعا من
المظالم. وأذاقوهم ألوانا من الهوان . ثم استحلفوهم وراء ذلك كله .
وما رأيت هذه العادة الذميمة والشيمة اللثيمة في بلد من البلاد ولا
رأيت في الناس أقسى قلوبا ولا أقل مروءة وحياء . ولا أكثر إعرضا
عن الله سبحانه وجفاء لأهل دينه من أهل هذه البلد. نعوذ بالله من

خذلان فلو شاء لأعتدل المائل وانتبه الوسنان. وكنت إذا رأيت فعل المذكورين ضمنت أن ذلك أمر أحدثوه حتى حدثني نور الدين أبو عبد الله بن زين الدين الحسن يحيى بن الشيخ الوجيه الدين أبي علي المنصور بن عبد العزيز ابن حباسة الإسكندري بمدرسة جده المذكور حكاية اقتضت أن لهم في هذه الفضائح سلفا غير صالح وذلك انه حدثني إملاء من كتابه قال حدثني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن السبتي الحمير بثغر الإسكندرية سنة اثنتين وستين وستمائة قال: حدثني الشيخ الإمام المحدث أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني بثغر الاسكندرية سنة إحدى عشرة وستمائة أنه ورد الإسكندرية في ركب عظيم من المغاربة برسم الحج. فأمر الناظر على البلد بمد اليد فيهم للتفتيش والبحث عما بأيديهم. ففتش الرجال والنساء. وهتكت حرمة الحرم. ولم يكن فيهم إبقاء على أحد قال فلما جاءني النوبة وكانت مع حرم ذكرتهم بالله ووعظتهم فلم يعرجوا على قولي. ولا التفتوا الى كلامي وفتشوني كما فتشوا غيري . فاستخرت الله تعالى. ونظمت هذه القصيدة ناصحا لأمر المسلمين صلاح الدين يوسف بن أيوب ومذكرا له بالله في حقوق المسلمين ومادحا له فقلت (متقارب):

| | |
|---------------------------|------------------------|
| أطللت على أفقك الزاهر | سعود من الفلك الدائر |
| فأبشر فإن رقاب الـعدا | تسمد إلى سيفك الباتر |
| وعما قليل يحل الردى | بكيدهم الناكث الغادر |
| وخصب الورى يوم يسقى الثرى | سحائب من دمها الهامر |
| فكم لك من فتكة فيهم | حكمت فتكة الاسد الحادر |
| كسرت صليهم عنوة | فلله درك من كاسر |
| وغيرت آثارهم كلـها | فليس لها الدهر من جابر |
| وأمضيت جدك في غزوهم | فتعسا لجدهم العائر |
| فأدبر ملكهم بالشـائم | وولى كأمسهم الذابر |
| جنودك بالرعب منصورة | فناجز متى شئت او صابر |
| فكلهم غارق هالـك | بتيار عسكرك الزاخر |
| ثارت لدين الهدى في العدى | فأثرك الله من ثائر |
| وقمت بنصر إله السورى | فسماك بالملك الناصر |
| وجاهدت مجتهدا صابرا | فلله درك من صابر |

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| وترفل في الزرد السابـر | تبيت الملوك على فرشها |
| على طيب عيشهم الناضـر | وتؤثر جاهد عيش الجهـاد |
| سريـك في جفـك الساهـر | وتسهر جفـك في حق مـن |
| فعدت الى وصفها الطاهر | فتحت المقدس من أرضه |
| فخلصته من يد الكافـر | وجئت الى قدسه المرتضـي |
| وأحييت من رسمه الداثـر | وأعليت فيه منار الهـدى |
| من الزمن الاول الغابـر | لكم ذخرا لله هذا الـفتوح |
| بها لا صطناعك في الآخـر | وخصك من بعد ما زرتـه |
| بذكر لكم في الوري طائـر | محبتك ألقيت في النفـوس |
| بمثلك من مثل سائـر | فكم لهم عند ذكر الملـوك |
| بانعامك الشامل الهامـر | رفعت مغارم أرض الحـجاز |
| فهان السيل على العابـر | وأمنت أكناف تلك البـلاد |
| على وارد وعلى صـادر | وسحب أيادك فياضـة |
| وكم لك بالغرب من شاكر | فكم لك بالشرق من حامـد |
| بمكة من معلى جاهـر | وكم بالدعاء لكم كل عام |
| وتلك الذخيرة للذاخـر | وقد بقيت حسبة في الظلـوم |
| ويسطو بهم سطوة الجائـر | يعنت حجاج بيت الإله |
| وناهيك من موقف صاغـر | ويكشف عما بأيدهم |

وقد أوقفوا بعد ما كشفوا
ويلزمهم حلفا باطلا
وان عرضت بينهم حرمة
ليس يخاف غداً عرضة
وليس على حرم المسلمين
ولا حاضر نافع زجره
الا ناصح مبلغ نصحه
ظلم تضمن مال الزكاة
يسر الخيانة في باطن
فأوقع به حادثاً إنـه
فما للمناكر من زاجر
وحاشاك إن لم تزل رسمها
ورفعك أمثالها موسع
وآثارك الغر تبقى بها
نذرت النصيحة في حقكم
وحبك أنطقني بالقـريض
ولا كان فيما مضى
إذا الشعر صار شاعر الفتى
وإن كان نظمي له نـادرا
ولكنها خطرات الهوى
كأنهم في يد الأسـر
وعقبى اليمين على الفاجر
فليس لها عنه من ساتر
على الملك القادر القاهر
بتلك المشاهد من غائر
فيا ذلة الحاضر الزاجر
الى الملك الناصر الضافر
لقد تعست صفقة الخاسر
ويدي النصيحة في الظاهر
يقبح أحدىثة الذاكر
سواك وبالعرف من آمر
فمالك في الناس من غادر
رداء فخارك للناشر
وتلك المآثر للآثر
وحق الوفاء على النـادر
وما أبتغي صلة الشاعر
مكسي وبش البضاعة للتاجر
فناهيك من لقب شاهـر
فقد قيل لا حكم للنـادر
تعن فتلعب بالخاطـر

وإما وقد زار تلك العـلا
فقد فاز بالشرف الباهـر
وإن كان منك قبول له فتلك
الكرامة للزائـر
ويكفيه سمعك من سامع
ويكفيه لحظك من ناظر
ويزهى على الروض غب الحيا
بما حاز من ذكرى العاطر

قلت هكذا حدثني أبو عبد الله بهذه الحكاية وكذا وقعت في كتابه منشورة لم يذكر فيه الا ما أثبتته وبالله التوفيق . وأنشدني أبو عبد الله أيضا عن أبي العباس المذكور عن ابن جبير قصيدة نظمها ارتجالا حين تراءت له مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فسافرت وما وصلت إلى الإسكندرية حتى ثابت إلى قوتي وعادت إلى صحي. وكان سفرنا منها على غير الطريق الأول إذ كان الماء قد نضب على الريف فسافرنا على طريقه. والعمارة عليه متصلة مدنا وقرى إلى الإسكندرية. ومن اعظم بلادها واشهر مدينة قليوب ومدينة مليح ومدينة فرما ومدينة بيار ومدينة المغانة ومدينة دمنهور. ومدنها وقراها أكثر من أن تعد. وهي ذات بساتين ونخل. وشجر يفتن حسنهما الناظر. ومن اعظم مدنها وقواعدها المشهورة الموصوفة بالحسن والجمال مدينة دمياط. وهي على البحر الرومي. ولم ادخلها لأنها رائغة إلى اليمن كثيرا عن طريق مصر إلى

الإسكندرية. وكنت متحفزا للسفر فلم يتأت لي دخولها. ومررنا على قرية سنديس وزرنا بها قبر عيسى بن الوليد أخي خالد بن الوليد رضي الله عنهما. وهو في بيت مغلق على يسار المحراب. ومن مصر إلى هذه القرية مرحلة. ثم وصلنا إلى مدينة الإسكندرية فأنزلنا شيخنا الفقيه زين الدين بمدرسة إقرائه. وأولانا من بره وتأنيسه ما يكافيه الله به. وأقمنا بها سبعة أيام. ثم سافرنا على طريقنا الأول إلى العقبة الصغيرة. ثم تياسرنا منها إلى العقبة الكبيرة. وهذه الطريق معطشة. وماؤها في آبار عميقة ما رأيت أبعد منها. وقل ما يأتي الاستقاء منها إلا بجبال موصولة. والغالب في ورودها الغب. فشق سلوكها لذلك. ثم منها على طريقنا الأول إلى البطانان. ثم إلى قصر الصعافنة. ثم إلى الرجل المشقوق. ثم إلى الحصوي وهذه كلها أسماء مواضع تترها العربان. ما بها مستعتب سوى قصر الصعافنة. ومن الحصوي على طريق الوسطى بين طريق الغابة وطريق القبلة إلى أبي شمال وهي عين غزيرة بيضاء عذبة. ثم إلى جرسون. ثم إلى مراوة. وتركنا على اليمين طريق المرج وقبة هيب وطمليثة وهي مدينة أرض برقة ومرسى سفنها. ورأيت ما بين جرسون ومراوة أكاما غليظة دائرة بديار منحوتة منها في حجر صلد من أبداع العمل وأغرب

الإتقان عجيبة محكمة جدا. ودخلت واحدة منها بإزاء الطريق. فوجدتها على نعت دار متقنة. وعن يمين مدخلها حجرة عظيمة للطبخ. وعن يساره حجرة أخرى للرحض وتطهير. وفي مقابلة الداخل بيت كبير مليح جدا منقوش على أحسن صفة تكون عليها البيوت المبنية وتلك الآكام كلها منحوتة ديارا على تلك الصفة. ومن مراوة الى سوسة وهي حصن خرب على شرف مرتفع ينظر على فحص متسع فيه مواجل كثيرة لماء المطر قل ما تنضب لكثرتها وعظمها وفي سمتها آبار المياس ولم أمر راجعا عليها لسبب أوجب ذلك. فتيامننا عنها. ثم وصلنا الى أرض برنيق. وهي أرض طيبة للزراعة كثيرا. وبها قصور عدة يخزن فيها. وأولها القماناس. وهي ثلاثة قصور متقاربة وإحداها قمينس هكذا ينطقون به على لغتهم المعروفة بالقاف وهي اسماء عجمية. ومررنا على قصر جليط. وهو في آخر أرض برنيق من جهة الغرب. ثم على أجداية وهي حصين قديم على قدر دار كبيرة عالية. وذكر بعض المؤرخين انه كان بها ماء جار ونخل. وليس الآن هنالك الا قصر مائل في خلاء من الأرض لا ماء جاري ولا شجرة واحدة. ومنها إلى عين أقيان وهو ماء شريب في رملة بيضاء. وهو حد برقة عند المغارب لان برقة عندهم اسم

الأرض يطلقونها على ما ردت الإسكندرية إلى هذا الموضع. وقد تقدم ان برقة اسم مدينة وقد رايت عرب تلك الأرض لا يطلقون اسم برقة إلا على الغابة وما حاذاها. وذلك من القمانس إلى الحصوي. ومنه الى العقبة الكبيرة ثم الى البطنان. ومنها الى الاسكندرية لا يذكرون الا العقبتين. ثم وصلنا الى برية سنانة ومنهوشة. ثم الى المدينة سرت ثم الى الشبيكة آخر قصورها وأعرها. مارين على الطريق الأولى إلى مصراتة. وهي مواضع وقرى عامرة. وآخرها من جهة الغرب سويقة ابن مطكوك. ومنها إلى بني حسن. وهي قرية مجموعة عامرة. وبينها وبين مصراتة مواضع على الساحل عامرة وقصور قديمة. وهنالك مدينة لبدة فيها آثار قديمة وبنيان عجيب. وفيها من أساطين الرخام وألواح ما يقصر عنه الوصف. وفيها صورة امرأة من رخام بإزاء الطريق ولا شك ان البلد كانت دار مملكة. وهي الآن متهدمة دارسة ليس بها الا عمارة قليلة. وفي جنوب بني حسن مسلاته. وهم قوم يرون أهل الدين. ويكرمون الحاج. وهم على خير وصلاح. ثم وصلنا إلى مدينة أطرابلس. وكان ذكر لي بها شيخ يدرس الفقه يعرف بين عبید فحضرت مجلسه. فرأيت قليل التوقير لمجلس العلم. فخرجت ولم أكلمه. ثم

وصلنا إلى قابس. وأقمنا بها أياما وأولانا خطيبها الصالح الفاضل أبو موسى الشكري حفظه الله برا وإكراما. وزرنا بها قبر أبي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعليه مسجد وهو منه في بيب مغلق. ثم سافرنا منها على طريق نفطة وهي موضع على البحر فيه ناس صالحون يعرفون بأولاد الرقيق. ثم منها على الطريق الوسطى بين طريق القيروان وطريق الساحل على غابة إفريقية. وهي غابة عظيمة من زيتون بعل يحمل كثيرا ويعتصر زيتا طيبا كالحل في زيتون الشام سواء. ولكنه ليس في الشام منه غابة متصلة كاتصال هذه مع عظمها. وقد قطعناها في ثلاثة أيام. ولكنها الآن معطلة لفساد البلاد واستيلاء العربان عليها. فانقطعت منفعتها رأسا حتى صار الزيت بإفريقية محلوبا من جزيرة جربة. وهي جزيرة صغيرة منقطعة في البحر فيها زيتون ورمان. وتفتحها مشهور يجلب منها الى البلاد وأهلها اصحاب مذاهب رديئة وأهواء مضلة مثل رواره وزواغة دمرهم الله جميعا. وقد صارت جربة اليوم في حكم النصارى. أعطاهم إياها أهلها لشئان وقع بينهم. والعصمة بالله ولا حول ولا قوة الا بالله . هذه الطريق المذكورة ليست بعيدة من طريق الساحل. وإنما تجنبناها لآفات تتقى بها. فخطرنا على مدينة سفاقس ونحن ننظر إليها. ثم على

المهدية. ثم على المنستير. ولم ندخل بلدا منها. وفي سفاقس دفن أبو الحسن اللخمي وقبره بها مشهور يتبرك به. وقد مضى ذكر تاريخ وفاته وفي المنستير دفن الإمام أبو عبد الله المازري. وقبره بها مشهور. والمنستير من الرباطات المشهورة المذكورة وتحكى لها مآثر وفضائل كثيرة. وبها من قبور الصالحين ما لا يعد كثرة. والمنستير بضم الميم. هكذا سمعت أهل أفريقية يتلفظون به. وعلى الطريق الذي سلكتها قصر لجم. وهو قصر الكاهنة. وما وقع بصري من كل ما رأيت على بنيت اعجب ولا أغرب منه. وهو مما لا يمكن تصويره بالوصف. ولا غنى في تصويره عن المشاهدة لغرابته. ومختصر وصفه انه قصر مستدير متسع عال جدا من صخور منحوتة كبار محكمة الوضع والوصف حتى كأنه حجر واحدة وقد فتحت في أعلاه أبواب مرصوفة محيطة به. وعلى تلك الأبواب أبواب آخر مثلها دائرة بالقصر أيضا. ويظهر مافوق الابواب من بعد كأنه قصر واقف في الهوى. وأظن ان تلك الأبواب لمكان اختراق الريح احتياطا على القصر من عاديته لا فراط علوه. ويمكن ان تكون لغير ذلك. وبناء داخل القصر أعجب. فإنه لو جعل دورا واحدا لم يكن فيه كبير منتفع. وان اتسع في الساحة على وضع واحد ضاقت وحجبت عنها الشمس. فجعل البناء فيه

مدرجا كلما طلع نقص منه دور حتى ارتفع البناء إلى حد لا يحجب فيه بعضه الشمس عن البعض حتى يضر بها دوام الظل عليها وصارت السقوف المدرجة من جملة الساحة يرتفق بها اذ لم يبق من الساحة غير مبنى إلا دائرة ضيقة. وهذا القدر هو الذي يمكن إثباته في صفة هذا القصر. وهو من جملة المباني الغربية التي لا تتصور تصورا تاما إلا بالمشاهدة. وليس في داخله عمارة معتبرة. ولكن العمارة خارجا عنه. هنالك ديار وبساتين وجامع مليح أهلها أناس صالحون شملتهم بركة الشيخ الصالح أبي زيد اللخمي رحمه الله تعالى. وأولاده الآن على طريقته في الدين والصلاح وإطعام الطعام نفعمهم الله ونفع بهم. ثم وصلنا إلى مدينة سوسة. وهي مدينة مليحة برية وبحرية. حولها بساتين وثمار. وهي في نفسها متقنة محكمة العمل مؤسسة بقوة وكلها صخر منحوت. وفيها رباط متسع عجيب مليح جدا يتزله الحجاج والمسافرون ولكنه قد سحب الزمان على الكل ذيل البلى. ورمى الداخل والخارج بسهم التوى. فعادت بعد الصون بكرة مكشوفة وصارت محاسنها ممحوة مكشوفة فخضعت خضوع العزيز إن ذل وخشعت خشوع الكثير إذا قل. ترنو إلى البر والبحر بمقلة خائف وتحاذر منها أنواع المتالف لا ترى بها زعيم يحبر ولا فارس

دفتر. قد خرس بها لسان الطلب. وعاد لفريق الجهل على فئة العلم
الغلب. فأحقت بها آثار كل فضيلة. وصيرها الجهل معرسة ومقيله.
تلاشت قواها فلم يبق بها إلا رمق. وكساها الزما ثوب الهوان ما
محي رونقها وأحق. لا تمد في الأمن ساعة من الدهر باعاً. ولا تميز
فتشبع أهلاً جياً. وجامعها المليح قد علا عليه الشحوب. وأبلى
حسنه وقائع الخطوب نازلته وليس له يدان بالدفاع. فاستكان وأطرق
إطراق الشجعان. وما عصم من ريب الزمان فريق ولا اعتصم
معتصم بدورة نيق. وبالله الاستعانة والتوفيق. ثم وصلنا إلى منزل أبي
نصر. وهي بلدة مسورة عامرة غاصة بالخلق. ولكنها في حكم
البادية إذ ليس بها من معاني الحضارة شيء. وبها سوق كبيرة يكثر
إليها الجلب لكثرة العربان هنالك. ثم خطرنا على مدينة الحمامات
وهي مدينة صغيرة مبيضة السور. وليس بها ما يذكر لفنائها وقلة
عمارتها. وهي على البحر. ولم ادخلها لقلة تشوقي إليها وما ذكر لي
من الضعف عنها. ثم وصلنا إلى مدينة تونس حرسها الله تعالى. وهي
كما مر ذكرها. واستقر عند المؤلف والمخالف شكرها. وهي مؤنسة
عند اسمها ومسعفة على مقتضى رسمها. وما انصف من ذمها بالمحال
وتعسف عليها فقال ((طويل)):

لعمرك ما ألفيت تونس كاسمها ولكنني ألفيتها وهي توحش

وقد أقمت بها مدة حتى شفيت الحشا العليل. ونقعت بوردها
الغليل. وقطعت فيها الغدو الاصيل. بمجالسة كل فاضل جليل. فيما
انفصل عن العالم يوضح الحللك مهما أجاب ألا إلى صالح يختلب به
در الحساب. ولا أغدو عن مجل أديب كقطع الرياض إلا محفل وعظ
يقي الحدود بالدمع الفياض. فقطعتها أياما من غفلات الدهر
مختلسات وانتظم لي بها شمل انس طالما مني بالشتات. فلم يبقى بها
شيخ مذكور الا رأيت ولا عالم مشهور الا أتيت. فممن واضبته مدة
الاقامة ولزمته لزوم الطوق لحمامة الشيخ الفقيه الفاضل والخبر التريه
الكامل قاضي القضاة وزين الحملة والرواة ذو التواضع والانصاف
 والمعروف بوطاة الأكناف. مسند عصره والمرجوع اليه في مصره.
أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد المعروف بابن الغماز
الخزرجي وصل الله صيانتته وأدام على الخيرات إعانتته. فلقيت منه
 عالما يأخذ بالأسماع والأبصار. وفاضلا خلت من مثله القرى
والأمصار. وغرة أجلى من ضوء الصباح مع سكون الطائر وخفض
الجناح. يدأب على الإسماع دؤوب من عد العلم أرفع صناعة ورأى
الاشتغال به أنفع بضاعة. لا يشغله عنه الإبقاء على أعضائه الواهية.

ولا يصدده عنه ما تتحمله فيه من المشقة نفسه السامية. ولم يؤثر في قوة اجتهاده ضعف قواه. ولا هوى به إلى استياط الراحة هواه. بل يستعذب في خدمة العلم ما يلاقي. ويعده عدة ليوم التلاقي. ولقد منحني الله من قبوله وإقباله ما لم يتيسر لي إلا بمن الله تعالى وأفضاله. ولما اجتمعت به وجدته مواظبا للإسماع بداره غدوة وعشية. فكلمته في قراءة جامع البخاري عليه. وأتيته بأصل منه إستشهرته في شرائه فاستغرب حالي في ذلك. وقال لي إن أردت أن تقرأ في أصلي ويتوفر عليك ما تشتري به فافعل. فقلت له أريد أن أقرأ هذا الكتاب في أصل يكون لي أرجع إليه فأعجبه ذلك مني وأنعم بقراءته عليه وعطل لأجلي أكثر الدول. وكان يداري أصحابها إذا رأى منهم قلقا. فإذا أكثروا عليه وعظهم في رفق. وقال لهم إنه ضيف علينا فاصبروا له حتى يتم الكتاب فترجعوا إلي دولكم وانتم مقيمون. فكان يجلس لي من النهار إلى قريب الظهر. ومن العصر إلى الغروب. وربما قام مرارا إلى تجديد الطهارة. ثم يرجع ويتكلف ذلك على كبر سنه وضعف قواه. فقرأت عليه أكثر الكتاب المذكور قراءة ضبط وإتقان. وولده الفقيه الفاضل المتقن المحقق أبو عبد الله يمسك عليه أصله العتيق المقرو على الإمام أبي ذر الهروي. وعليه خطه. وكان يناوبني القراءة.

وأمسك أنا الأصل حتى كمل لي الكتاب بقراءتي في الأكثر و سماعي
بقراءة المذكورة أحيانا. وسمعت عليه أثناء ذلك دولا كثيرة من الموطأ
وصحيح مسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذي. وناولني سائرهما في
أصوله ودواوين سواها. وقرأت عليه أكثر التيسير للإمام المقرئ أبي
عمرو الداني رضي الله عنه. وسمعت عليه باقيه. وقرأت عليه برنامجه
الذي قيد فيه أسماء شيوخه وناولني برنامج شيخه الإمام الشهير أبي
ربيع بن سالم رحمه الله. وسمعت دولا من كتابه الاكتفاء في مغازي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء . وهو كتاب
كبير في أربعة أسفار .

وقرأت عليه من تأليفه أيضا مفاوضة القلب العليل على طريق
أبي علاء المعري في ملتقى السبيل وأجازني حفظه الله إجازة عامة.
وحضرت عنده مذاكرات ومفاوضات في العلم وانتفعت بلقائه
كثيرا. ومما قرأت عليه في برنامج شيوخه للإمام الشهير أبي ربيع بن
سالم رحمه الله ((طويل)):

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| إذا برمت نفسي بحال أحلتها | على أمل ناء فقرت به النفس |
| وأنزل أرجاء الرجاء ركائي | إذا رام الإماماً بساحتي اليأس |
| وإذا أوحشتني من أمانى نبوة | فلي في رضى بالله والقدر الأنس |

ومما قرأت له عليه في حرف الكاف من مفاوضة القلب

العليل ((سريع)):

| | |
|-------------------------|------------------------|
| يا راكبا في نيل ذاته | مسالكا يعي بها السالك |
| غرثك دنيا منقض شأها | وأنت لا بد لها تارك |
| خلاصة سلاية للنهي | أصدق ما غرت به أفك |
| ما أمكنت من وصلها طالبا | إلا انثنت وهي له فارك |
| حذار أن تلقى غدا باكيا | من طول ما أنت بها ضاحك |
| شاقك وجه في الدجى نير | أسود في عين الحجى حالك |
| ملكته رقك لم تدرك أن | قد خسر المملوك والمالك |
| هلا لوجه الحق كان الهوى | فكل شيء غيره هالك |

وقرأت عليه أيضا في ذكر مثال نعل المصطفى صلى الله عليه

وسلم وشرف وكرم ((طويل)):

| | |
|------------------------------|-------------------------|
| خواطر ذي البلوى عوامر بالجوى | ففي كل حال يعتريه خبال |
| متى يدع داع باسم محبوه هفا | فيحتاج بلبال ويكشف بال |
| وان ريء من آثاره اثر همت له | من غروب مقلتين سجال |
| كحالي وقد أبصرت نعلا مثلها | لنعل النبي الهاشمي مثال |
| عراني ما يعر المحب إذا بدا | لعينه من مغني الأحبة آل |
| فقبلت في ذاك المثال معاودا | أرى أن ذلي في هواه جلال |
| ومثلته نعل الرسول حقيقة | وإني لأدري أن ذاك محال |

ومن سنة العشاق أن يبعث الهوى مثال ويقتاد الغرام خيال
ولا فرق إلا أن حب محمد هدى والهوى في من عداه ضلال

وقرأت عليه في هذا المعنى أيضا لأبي ربيع المذكور قصيدة كبيرة
أولها ((بسيط)):

يا من لصب يري أشجانه النظر مهما تبدي له من حبه أثر
يفي له الصبر عند النائبات فإن يلح له أثر يبق مصطبر
وذاك غير ذميم من مواقعه إذا تعقبه التنقيح والنظر

وهي أزيد من مائة بيت من غرر القصائد أجزلها لفظا ومعنى.
ومن شعر شيخنا أبي العباس المذكور حفظه الله تعالى قوله
((طويل)):

أيا سامع الشكوى ودافع البلوى ويا كاشف الأواء واليأس والضر
أسير الخطايا يرتجي فك أسره وإن لم يكن أهلا لفك من الأسر
ومالي لا أرجوا وإن كنت مسرفا وادري من الصفح الجميل الذي ادري

قلت أتى شيخنا حفظه الله بعروض البيت الأول تامة وإنما
سمعت مقبوضة إلا أن الترصيع الذي في البيت ربما سوغ ذلك كما
في الترصيع. وقد وقع مثله في شعر المتنبي وتعقب عليه. ومولد شيخنا
حفظه الله عقب الحرم من سنة تسع وستمائة. ولقيت بها الشيخ

الجليل الفاضل العالم العامل المسن المسند بقية السلف وقدوة الخلف
ذا الدين المتين والمنهج الواضح المستبين صالح العلماء وعالم الصالحاء
أبا القاسم بن حماد بن أبي بكر الحضرمي اللبيدي . نفع الله به . وهو
أوحد وقته علما ودينا واجتهادا ومواظبة وحسن ظن وغزارة دموع.
معدوم النظر في عصره. لا يفتر عن العبادة . ولا يتوانى عن شهود
الصلاة في الجماعة وحضور المجلس لاسماع العلم مع فادح ضعفه
وفرط شاحته وضراعة بصره. لا يتخلف عن المسجد ليلا ولا نهارا.
لا يقطع إسماع العلم وتعليمه وقراءة القرآن. وقد ابلت التسعون بدنه
ونفكت قواه. وحفظ عليه ذهنه حفظا تاما. واما اخلاقه وتواضعه
وقوة رجائه فغاية في بابيه . وكنت اجتمعة به اول ما لقيت في مسجد
اقرائه قبل صلاة الصبح مع بعض الفقراء مما يعرفه فسلمنا عليه ودار
بيننا كلام يسير فاقبل على الفقير وقال له هذا رجل عاقل. وما زال
يواليني من بره واعتنائه بما يليق بالفضلاء امثاله. وما آتته قط الا هش
الي عند ما يسمع كلامي وكان يقدمني للصلاة احيانا وما انفصلت
عنه قط الا داعيا لي بكل خير. ولما ودعته بكى وقال لي ان امكنك
ان نكتب الى بوصولك الى اهلك سالما فافعل لاسر بذلك . فشكرته
وسلمت عليه وانصرفت. ومازلت طول سفري و الى الآن أتعرف

بركة دعائه. والحمد لله على تسخير أوليائه حمدا لا يقف على مدى
إغياؤه ومما قرأت عليه حفظه الله كثيرا من كتاب البخاري وناولني
سائره في أصلي. وحدثني به عن الشيخ الإمام المحدث الراوية أبي
زكريا يحيى بن محمد المهدوي ويعرف بالبرقي سمعا عليه جميعه عن
أبي محمد بن حوط الله بإسناده. وقرأت عليه بعض كتاب المعلم
للإمام أبي عبد الله المازري في أصله. وناولاني جميعه عن أبي زكريا
البرقي المذكور قراءة عليه وسمعا عن الشيخ الفقيه أبي يحيى بن أبي
بكر بن عبد الرحمن الغساني المازري في أصله ويعرف بابن الحداد
قراءة عليه ثم سمعا عن مؤلفه المذكور وقل ما يوجد الآن أعلى منه
فيه سندا. وعن البرقي المذكور رواه أبو عبد الله القضاعي بحضرة
تونس حرسها الله. وقرأت عليه بعض كتاب عوارف المعارف للإمام
أبي حفص السهروردي رحمه الله. وناولني جميعه بحق قراءته إياه على
الشيخ المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي جعفر الأنصاري عن
مؤلفه. وقد تقدم أني أدركت بمكة شرفها الله من يروي هذا الكتاب
عن مؤلفه. ولم يقض لي الأخذ عنه. وسمعت على شيخنا المذكور
دولا من التيسير للإمام أبي عمرو المقرئ ومن كتب شتى في التصوف
وغيره وأجازني إجازة عامة. والحمد لله. ومولده حفظه الله عام

ستمائة. ولقيت بها الشيخ العالم الفقيه الزاهد الناسك المنقطع الفاضل الكامل ذا المآثر العالية والفضائل السنية أبا محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاصي الأندلسي نفعه الله ونفع به. وهو من الصلاح والدين والتمسك بأخلاق السلف الصالح والإعراض بالجملة عن إعراض الدنيا. والإقبال بالكلية على طريق الاخوة بالمحل الاعلى. رايته وقد جاء الى شيخنا أبي القاسم الليدي فقعده بين يديه وهو يتملقه ويقبل أطرافه. فقال له الشيخ أبو القاسم أنت أخي . فقال يا سيدي ما أنا إلا عبدك. ثم سلم عليه وانصرف. وقد جالسته كثيرا وترددت إليه مدة إقامتي بتونس مقتبسا من علمه ومتبركا بصالح دعائه. ولبست منه من الخرقة المباركة خرقة المتصوفة رزقنا الله بركتهم. وكان هو قد لبسها من الشيخ الصالح العالم العامل إمام الحرم أبي المكارم محمد بن يوسف بن مسدي المهلي رحمه الله. ولابن مسدي في ذلك جزء مجموع ذكر فيه من كساه الخرقة من الشيوخ واتصال السند فيها إلى السلف الصالح رضي الله عنهم. وقد قرأته عليه. وقرأه على مؤلفه المذكور. وقرأت عليه من تأليف أبي المسدي أيضا الأربعين حديثا في فاضل الحج وأخبرني بها عنه. وقرأت عليه كتاب الإعلام بقواعد الإسلام للقاضي أبي الفضل عياض ابن موسى

رحمه الله. وحدثني عن الشيخ الفقيه الصالح أبي العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي سماعاً عليه عن أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن عصفور عن أبي محمد عبيد الله الحجري عن مؤلفه. وقرأت عليه مختصر السيرة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي صاحب الكتاب المجلد. وحدثني به بسنده إليه. وهو تأليف نبيل بن أوراق بسيرة. وقرأت عليه الكتاب المغني عن الحفظ. والكتاب في حصر الضعيف من الحديث بالأبواب تأليف حفص بن عمر بن بدر الحنفي. وحدثني به عن أبي محمد عبد الملك بن عبد الملك الشقروي ببلنسية. قال قرأت عن مؤلف بيت المقدس. وهو في أوراق نبيل التأليف جداً. وقرأت جملة أجزاء يرويها مسلسلات في الحديث وحكايات وأناشيد. وأفادني فوائد كثيرة نفعه الله وإياي بذلك. وما قرأت عليه حدثني به عن ابن عجلان عن ابن عصفور عن أبي القاسم عبد الرحمان ابن عيسى عن أبي الفضل عياض عن أبي علي الصديقي عن أبي بكر الطريثي عن أبي القاسم هبة الله بن الحسين عن علي بن محمد عن الحسين بن صفوان عن عبد الله بن أبي الدنيا عن أحمد بن عبد الأعلى عن إسماعيل بن أبان العامري عن سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال: لقد رايت عجبا كنا بفناء

الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان. فقال القوم بعد ان فرغوا من حديثهم ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني ويسأل الله حاجته. فإنه يعطي من عه فضلة قم يا عبد الله بن الزبير فانك اول مولود ولد في الهجرة. فقام فاخذ بالركن اليماني . ثم قال اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم. اسالك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلى الله عليه وسلم. أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة. وجاء حتى جلس. فقالوا قم يا مصعب بن الزبير فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء. أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينه بنت الحسين وجاء حتى جلس. وقالوا قم يا عبد الملك بن مروان. وقام فاخذ بالركن اليماني فقال اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضيين ذات النبت بعد القفر أسألك بما سألك به عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك ان لا تميتني من الدنيا حتى توليني مشرق الأرض ومغارها ولا ينازعني احد الا اتيت براسه. ثم جاء فجلس. ثم قالوا قم يا عبد الله بن عمر. فقام حتى اخذ بالركن اليماني فقال

اللهم انك رحمان رحيم. اسالك برحمتك التي سبقت غضبك
واسالك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى
توجب لي الجنة. قال الشعبي: فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيت
كل واحد منهم أعطي ما سأل . وبشر عبد الله بن عمر بالجنة
وريث له. وقرأت عليه أيضا : حدثنا الفقيه التقي أبو الحجاج
يوسف بنو حجاج بنو يوسف قال حدثنا الفقيه الزاهد أبو العباس بن
أحمد بن محمد بن حسين بن تامتيت اللواتي قال أخبرنا الفقيه أبو
الحسين يحيى بن محمد وقرأته عليه . قال أخبرنا أبو القاسم خلف بن
عبد الملك . قال أخبرنا الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن أحمد
التجيني . قال أخبرنا أبو علي حسين بن محمد الغساني . قال حدثنا
أبو العباس أحمد بن عمر العذري . قال حدثنا أبو العباس الرازي .
قال حدثنا سليمان بن أيوب الطبراني . قال حدثنا بشر بن موسى .
قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ . قال حدثنا حيوة بن شريح عن
عقبة بن مسلم عن أبي عبد الرحمان عن الصنائحي عن معاذ بن جبل
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيده فقال : يا معاذ والله إني
لأحبك . فقال أوصيك يا معاذ . لا تدع في كل صلاة أن تقول :
اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . وأوصي بذلك

معاذ الضائحي وأوصي بها الصنائحي أبا عبد الرحمان وتسلسلت
الوصية هكذا إلى شيخنا فأوصانا بها . وحدثنا أيضا قراءة مني عليه .
قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن لب المليلي عن أبي عبد الله
بن قاسم عن أبي الخطاب عمر بن دحية عن الإمام أبي الوليد يوسف
بن عبد العزيز بن يوسف اللخمي بن الدباغ . قال أخبرني الشيخ
الصالح أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني عن أبي عمر
الطمنكي عن أبي جعفر أحمد بن محمد . قال قرأت على أبي محمد
عبد الله بن محمد بن أمية بن غلبون . قال أخبرنا محمد بن عبد الله بن
أبي حليم قال حدثنا محمد بن وضاح قال حدثنا كثير أبو نجد يزيد بن
مجالد قال حدثنا كثير بن سليم قال أتيت انس بن مالك رضي الله
عنه بوادي القصب فسمعتة يقول . قال رسول الله ﷺ أمي أمة
مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة . إنما عذابها في الدنيا بالفتن
والزلازل . فإذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم ومسلمة
رجلا من أهل الكتاب أو من المشركين فيقول هذا فداؤك من النار .
وقرأت عليه أيضا قال أملى علي الشيخ الفقيه أبو الحجاج قال أملى
علي الفقيه الزاهد أبو العباس هو ابن تأميت . قال قرأت على أبي
الحسين يحيى بن محمد . قال قرأت على أبي القاسم خلف بن عبد

الملك . قال حدثنا أبو محمد هو ابن عتاب قراءة مني عليه . قال
كتب إلى أبو عمرو عثمان بن أبي بكر . حدثنا أبو الحسن عبد الله
بن محمد بن بكار بكارزون من ارض فارس . قال حدثنا ابن عائشة
. قال حدثنا محمد ب عبد الرحمان القرشي قال كنت عند الأعمش .
فقال إن الحسن بن عمار ولي المظالم . فقال الأعمش وا عجباً من
ظالم ولي المظالم ما للحائك بن الحائك والمظالم . فخرجت فأتيت
الحسين فأخبرته . فقال علي بمنديل وأثواب . فوجه بها إليه فلما كان
من الغد بكرت إلى الأعمش . فقلت اخبرني الحديث قبل أن يجتمع
الناس . فأجريت ذكره فقال بخ بخ هذا الحسن بن عمار زان العمل
ولم يزنه العمل . فقلت له بالأمس قلت ما قلت واليوم تقول هذا .
فقال دع عنك هذا . حدثني خيثمة عن عبد الله بن مسعود أن
رسول الله ﷺ قال جبلت القلوب على حب من احسن إليها وبغض
من أساء إليها . وبه إلى ابن عتاب قال قرأت على أبي القاسم حاتم
بن محمد التميمي قال حدثنا أبو الحسن القاسمي بمثله بالقيروان .
قال اخبرني حمزة بن محمد الكناني بمصر وقد اجتمع عنده الطلبة
يسأله كل واحد منهم برغبته في دواوين ارادوا اخذها عنه . فقال
اجتمع قوم من الطلبة بباب قتيبة بن سعيد . فسأله بعضهم ان يسمعه

من الحديث . وبعضهم من الفقه واكثر كل واحد منهم برغبته و ألح عليه الرحالون وكان روى كثيرا ولقي رجالا . فتبسم ثم قال ((رجز)) :

تسألني أم صبي جـمـلا يمشي رويدا ويكون أولا

مهلا خليلي فكلانا مبتلا

وبه إلى ابن عتاب قال أنشدني أبو عمرو وعثمان بن أبي بكر
قال أنشدني أبو نعيم الحافظ قال أنشدني أبو محمد الجابري قال
أنشدني ابن المعتز لنفسه ((منسرح))

| | |
|---------------------|------------------------|
| ما عابني إلا الحسود | وتلك من خير المعائب |
| والخير والحساد مقرو | نان إن ذهبوا فذهاب |
| وإذا ملكك المجد لم | تملك مذمات الأقارب |
| وإذا فقدت الحاسدين | فقدت في الدنيا الأطائب |

وبه إلى أبي الحسين يحيى بن محمد بن علي الأنصاري عرف
بابن الصائغ قال أنشدنا أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي رضي الله
عنه لنفسه ((كامل))

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| أهل الحديث هم الرجال البزل | ومن العوالي في المعاني نزل |
| أنى يدانيهم عدو ملحـد | يزري بهم وهو الهوي الأنزل |

قولوا له قول امرني منتصح ما قوله هذا الصواب الأجل
هل يستوي السمك الذي تحت الثرى أبدا مقيما والسمك الأعزل

وقد أنشدني هذه الأبيات شخينا شرف الدين الدمياطي حفظه
الله بمصر ولم اكتبها عنه. وقرأت أيضا على شيخنا أبي محمد قال
الشيخ أبو الحجاج أنشدنا الشيخ أبو العباس . أنشدنا أبو الحسين
محمد الكناني . قال أنشدنا الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو أحمد عبد
الوهاب بن علي الصوفي البغدادي. قال أنشدنا الإمام أبو زرعة طاهر
ابن محمد . قال أنشدنا والد الشيخ الإمام ابو الفضل محمد بن طاهر
المقدسني . قال أنشدني أبو الحسن علي بن عبد الرحيم في التصوف
واندراس أهله ((كامل))

| | |
|---------------------|--------------------|
| أهل التصوف قد مضوا | صار التصوف مخرقه |
| صار التصوف صيحة | وتواجدوا ومطبقه |
| مضت العلوم فلا علوم | ولا قلوب مشرقه |
| كذبتك نفسك ليس ذا | سنن الطريق الملحقه |
| حتى تكون بعين من | عنه العيون محققه |
| تجري عليك صروفه | وهموم شرك مطرقه |

وبه إلى أبي الفضل المقدسي قال أنشدنا أبو الحسن علي بن عبد
الله الخرساني لنفسه ((طويل)):

أمدعيا في الناس علم التصوف أتيت بفعل الجاهل المتكلف
متى كنت من أهل التصوف أو متى سلكت طريقا غير طريق التعسف

القصيدة إلى آخرها وهي اثنان وعشرون بيتا وآخرها :
فديتك دع علم التصوف مسكتا فلست وإن موهت بالمتصوف
وقرأت عليه أنشدكم الفقيه أبو إسحاق بن محمد بن الحاج
البلفيقي . قال أنشدني أبو عبد الله بن فرحون السلمي قال أنشدني
أبو عمران الزاهد لنفسه ((بسيط))

إمام كل ثقيل قد أضربنا أروم نقصهم الشيء يزداد
ومن يخف علينا لا يلم بنا و للثقل مع الساعات ترداد
وقرأت عليه أنشدكم أبو إسحاق البلفيقي . قال أنشدنا أبو بكر بن
محمد بن قسوم لنفسه ((منسرح))

تبا لفرقه قوم لا ينتمون لمذهب
إذا تزندق وغد قالوا فلان تهذب
وقرأت عليه قال أخبركم الشيخ الفقيه المقرئ أبو عمر عثمان بن
سفيان بن عثمان التميمي . قال أخبرنا الإمام التونسي هو ابن شقر .

قال اخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي . قال
اخبرنا الإمام أبو طاهر السلفي . قال اخبرنا أبو عبد الله محمد بن
احمد بن الخطاب الرازي . قال سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي بن
نعيم المصري قاضي البرلس يقول عن بعض سكان البرلس . قال
سمعت قائلاً يقول ليلاً من جانب البحر وينشد بيتين فقصد الصوت
فلم أرى أحداً فعلمت انه هاتف وهما ((بسيط))

لولا رجال لهم ورد يقومون وآخرون لهم صوم يصومون
لزلزلت أرضكم من تحتكم سحراً لأنكم قوم سوء لا تبالونا

وقرأت عليه أنشدكم أبو عمرو وهو ابن شقر . قال أنشدنا أبو
الحسين بن المفضل المقدسي لنفسه ((بسيط)):

يا رب عفوك عن ذي زلة عظمت به المهابة حتى لا ذ بالكرم
إن لم يكن هو أهلاً أن تسامحه فإنه من جميل الظن في حرم

وله أيضاً ((رجز)):

يا خبذا الصالحون انهم في سبيل الصالحات قد سلكوا
إن أكن قد فعلت ما فعلوا فليتنى قد تركت ما تركوا
من قبله ((منسوخ)):

أنا من أهل الحديث وهم خير فئدة

جزت تسعين وأرجو أن أجوز المائة

قلت قد حقق الله رجاءه وصدق ظنه رضي الله عنه فإنه توفي عام ستة وسبعين وخمسمائة . ومولده تخمينا عام اثنين وسبعين وأربعمائة . أخبرني بذلك شيخنا شرف الدين الدمياطي عن الامام زكي الدين ابي محمد عبد العظيم المنذري رحمه الله . وقرأت على شيخنا أبي محمد أيضا : أملي عليكم الفقيه ابو الحاج من كتابه قال أملي علينا الشيخ الفقيه ابو العباس من كتابه . قال أنشدنا أبو الحسين رحمه الله . قال أنشدنا أبو القاسم خلف بن عبد الملك . قال أنشدنا أبو محمد بن عتاب . قال أنشدنا أبو عمرو عثمان بن أبي بكر . قال أنشدنا إسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني عند المواعدة ((خفيف)):

إن نعش نجتمع وإلا فما اشغل من مات عن جمع الأنام

وقرأت عليه : أنشدكم أبو إسحاق البليقي عن غير واحد من شيوخه عن أبي محمد الحجري عن أبي العباس بن العريف لنفسه يعارض أبيات إسحاق الموصلي التي أولها ((طويل)):

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري فذلك شيء ما إليه سبيل

تعاتبني في الجود والجود شيمتي ومالي بتبديل الطباع زعيم
ولم أرى مثل الجود أما حديثه فحلوا وأما حبه فقديـم
ولا خير فيمن لا يعاش بعيثه ولو أنه فوق السماك مقيـم
ذروني فإن البخل عار لأهله وما ضر مثلي إن يقال عديـم
أرى كل طلق كل خلق حيمه وليس لمقبوض اليدين حيم
وكيف يخاف الفقر أو يحرم الغنى كريم ورب العالمين كريـم

ومولد شيخنا أبي محمد رزقنا الله بركته عام عشرة وستمائة.
ولقيت بها الفقيه الأديب الفضل العارف الأوحد الحسيب الناظم
الناثر أبا الحسن علي بن محمد أبي القاسم بن رزين التجيبي المرسى
أمدّه الله وإياي بتوفيقه وأعاننا على اقتفاء الحق وسلوك طريقه .
فلقيت منه خيرا فاضلا لين الجانب وطيء الأخلاق مقيدا مفيدا . له
النظم الرائق والنثر الفائق و أدرك جلة من الأعلام وجملة من علماء
الإسلام . وسمع كثيرا منهم . وأجازه خلق كثير . وله في ذلك
فهرسة جمعها فحسن ونمق وأتقن وحقق. كتب لي من أصله وقرأتها
عليه وقرأت عليه أيضا . جملة من كتاب الصلة لأبي القاسم بن
بشكوال . وحدثني بها عن ابن عمته الفقيه الفاضل أبي القاسم بن
نبيل . وعن أبي جعفر أحمد بن يوسف ابن فرتون قرأت لجميعها

عليهما بسندهما فيها وقرأت عليه حديث زريب وموعظة داود بن
جهوه. وقرأهما هو على الرواية المسند أبي الحسين احمد بن محمد بن
احمد بن السراج الأنصاري . وأراني بخط ابن الأبار أن جهوة بالتاء
هو الصواب . قلت بالتاء ذكره أبو علي . البغدادي وانشد له
(طويل):

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| أقاسي البلا لا أستريح الى غد | فيأتي غد إلا بكيت على أمسى |
| سأبكي بدمع أو دم أشتفى به | فهل لي عذر إن بكيت على نفسي |

وقال البكري انشده ابن الجراح وغيره لداوود بن جهوة لم
يتخلفوا في ذلك وقرأت عليه الأمثال الكامنة في القرآن للحسن بن
الفضل وقرأها على ابن السراج ، على الإمام بن القاسم بن بشكوال
. وقيد لي إجازته العامة في رقعة قيد في آخرها أبياتاً من نظمه
العارض بها مثلها مما تسلسل فيه القول والإسناد إلى أبي العلاء المعري
وأنشدنيها من لفظه وهي ((طويل)):

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| نصيبك من دنياك أيسر بلغة | قليل لديها صحبة وفراغ |
| فما بالنا نلهو ونغتر بالـمـنى | كأن ليس للأخرى الغداة بلاغ |
| كيف وقد ولى الشباب ولاح | للمشيب بفودي عاريك صباغ |
| يساغ لنا نساء الحياة لغاية | ولكن خلود المرء ليس يساغ |
| فشمروا بادر منك فضل إنابة | فحادي المنايا ليس عنه مراغ |

ومما قرأت عليه في برنامجه . قال أنشدني الشيخ أبو الحسين بن
السراج قال أنشدني القاضي الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن
أغلب الخولاني لنفسه ((خفيف)):

| | |
|---|--|
| وَنَهَارٌ بَنَهَرَ قَلْعَةَ جَابِرٍ | كَانَ مِنِّي لَوَاهِنُ الْأَنْسِ جَابِرٍ |
| بَطُيُورٌ كَأَنَّمَا خُطِبَاءُ | فِي غُصُونٍ كَأَنَّهُنَّ مُنَابِرُ |
| سَتَرَتْهَا الْأَوْرَاقُ فَهِيَ تَغْنِي | فَسَمِعْنَا الْقِيَانَ خَلْفَ السِّتَائِرِ |
| اسْمَعْنِي يَا أُمَّ حَاءٍ وَ سَيْنِ | ثُمَّ نُونٍ كَعَقْرَبِ الصَّدُغِ دَائِرِ |
| نُوبَةٍ تَبْرئِي الْمُنُوبِ حَتَّى | لَوْ غَدَا مَيِّتًا لِأَصْبَحَ نَاشِرِ |
| كَيْفَ تَدْعُونَ قَيْنَةَ الرُّوضِ أُمًّا | وَهِيَ بِكَرٍ رَضِيعِ ثُلْدِي الْأَزَاهِرِ |

وقرأت عليه لأبي عبد الله القضاعي قال وهو آخر ما أنشدني
من شعره وهو ((هجز)):

| | |
|---------------------------------------|----------------------------------|
| إِلَى مِ فِي حَلٍّ وَفِي رِبْطٍ | تَخْبِطُ جَهْلًا أَيْمًا خَبِطُ |
| دَعِ الْوَرَى وَارْجِ إِلَهَ الْوَرَى | فَاهِ ذُو الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ |
| لَيْسَ لِمَا يُعْطِيهِ مِنْ مَانِعٍ | وَلَا لِمَا يَمْنَعُ مِنْ مَعْطِ |

وقرأت عليه في رسم أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن
برطله منها قال أنشدني أبو عمر بن عتاب قال أنشدني أبو الحسن بن
المفضل ((طويل)):

أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل و أصحابه والتابعين تمسكي
عساك إذا بالغت في نشر دينه بما طاب من عرف به أن تمسكي
وخافي غدا يوم الحساب جهنما إذا لفحت نيرانها أن تمسك

و قرأت عليه لابن برطله مما قرأ هو عليه ((طويل))

بأربعة أرجوا نجاتي وإني لأكرم مدخور لدي وأعظم
شهادة إخلاصي وحي محمدا و حسن ظنوني ثم إني مسلم

وقيد هذا الاسم برطله بضم اللام وإسكان الهاء . وقال كذا
ثبت عنه . وقيدت هذا الاسم على شيخنا أبي عبد الله بن صالح بهاء
التأنيث وقرأت عليه أيضا في رسم أبي عبد الله بن الجلاب مما كتب
به إليه ((كامل)):

بيني وبين الدهر فيك عتاب سيطول إن لم يمحه الأعتاب
يا غائبا بكتابه و لقاءه هل يرتجي من غيبك إياب
لولا التعلل باللقاء تقطعت نفس عليك شعارها الأوصاب

و قرأت عليه للأديب الكاتب أبي عثمان بن عبد الله الأنصاري
المعروف بالأكوبي قال أنشدني لنفسه في نوة مر بهن يتبايكن على
القبور في أيام عيد ((كامل)):

برزوا بأحسن زينة و غرقم ذكرى من الأهلين والخلان
فتهافت درر الدموع لما رمت من شت شملهم يد الحدثان

فاعجب لضدي حالتين تلاقيا زي السرور وعبرة الأحزان

وقرأت عليه قال أنشدني الأكوبي قال أنشدني أبو الربيع بن
سالم قال أنشدني أبو بكر عتيق بن علي المعروف بالفصيح. قال
أنشدني الحسن ابن أبي الفتح بن وزير الواسطي ببغداد قال أنشدني
أحمد بن محمد الواسطي قال أنشدني صدفه بن الحسين قال أنشدني
بن المدابي قال أنشدني أبو محمد الحريري لنفسه وكتب بها إلى صهره
أبي زيد السروجي واسمه المطهر. وكان مدمنا ينهاه عن ذلك
(طويل):

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| أبا زيد اعلم من شرب الطلا | تدنس فاسمع قول واع مهذب |
| ومن قبل سميت المطهر والفتى | يصدق بالأفعال تسمية الأب |
| فلا تحسنوها ما دعيت مطهرا | وإلا فغير ذلك الاسم واشرب |

وقرأت عليه أنشدني الأكوبي قال أنشدني أبو الحاج يوف بن
عبد الرحمان المريني لنفسه ((متقارب)):

| | |
|--------------------------|-----------------------|
| إذا كنت في الجود ذا رغبة | فلا تنتظر موقف السائل |
| فان الجواد على رغبة | جواد لعمر كالباخل |

وقرأت عليه للأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن
محمد الجذامي القرطبي المعروف بابن العطار مما انشده إياه ملغزا في
السكين ((طويل)):

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| أحاجيك ما شيء إذا ما سرقة | وفيه نصاب ليس يلزمك القطع |
| على أن فيه الحد والقطع ثابت | ولا حد فيه هكذا حكم الشرع |

وملغزا في اللغز ((بسيط)):

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| ما اسم تحار به الأوهام والفكر | ويعتري اللسن فيه العي والخصر |
| يستبشر المرء إذ يبدوا له فإذا | لم يبد يعتاده الوسواس والسهر |
| يغوي بكل تحرير ذي فطن | ويفتدي منه من لا عنده النظر |
| هذا هو اللغز قد جليته لكم | كما يجلي سواد الخدس القمر |

ومولد الفقيه أبي الحسن بن رزين عام ستة وعشرين إلى عام
سبعة وعشرين وستمائة. أخبرني به هكذا على الشك. ولقيت بها
الشيخ الفقيه الحسيب العالم الفاضل الكامل الزكي الرضي مفتي
افريقية والمنظور إليه بها وقطب أصولها وفروعها والمرجوع إليه في
أحكامها غير مدافع ولا منازع أبا القاسم بن أبي بكر اليمني شهر
بابن زيتون. لقيته وسمعت كلامه في بعض المسائل. فسمعت كلام
ممارس للعلم الطويل الخدمة له. مدل على الخوض فيه غير هيوب ولا

فرق. وحق ذلك لمن زاوله جميعا وفرقا. وطلبه غربا وشرقا. وخدمه من لدن شب إلى أن دب. وأوليع به ولوع متيم صب. يحب لحبه كل متم إليه. ويعكف بباطنه وظاهره عليه. ولم أكثر مجالسته لقلة تفرغه للرواية وكثرة شغله بالمسائل. وإستجزته فأجازني. وكتب لي بذلك خط يده وكان رحل قديما إلى المشرق فلقي به جماعة من أبحار العلماء وأخيار الفضلاء. وسمع منهم. فأجازوه. منهم الإمام زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري . قرأ عليه نحو الربع من اختصاره لصحيح مسلم وقدر الثلث من أول كتاب البخاري وأجازاه. ومنهم شرف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المرسى . سمع عليه موطأ يحيى بن يحيى وكتاب مسلم وأجازاه . ومنهم عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام . سمع عليه مختصر الرعاية من تأليفه . وسمع عليه مواضع من قواعد التي سماها مصالح الطاعات. وأجازاه رشيد الدين أبو الحسين يحيى بن على بن عبد الله بن العطار. وصدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري التميمي. وقرأ عليه بعض كتاب الجامع للترمذي. وأجازاه عبد الغني بن سليمان بن بنين. وشمس الدين عبد الحميد الخسرنشاهي. ودرس عليه علم الأصول وأبو القاسم بن عبد الرحيم

بن أبي جعفر. سمع عليه كتاب ما أظهره اللفظ للعيان من بحر اللؤلؤ والمرجان من أحاديث العوالي والأبيات الحسان من تأليفه. وأبو يعقوب يوسف بن أبي المعالي بن طاهر الأنصاري. ناوله شعر بن المفرج وحدثه به عنه. ولقيت بها الشيخ الأديب الحسيب المكاتب البليغ ذا الفضائل المذكورة والمآثر الماثورة شيخ الأدباء وأوحد البلغاء وزين الناظمين والشعراء. أبا الحسن علي بن إبراهيم التيجاني التونسي. له بيت عريق في العلم والأدب. قال لي بمسجد إقرائه : أنا الثاني عشر مدرسا من آبائي على نسق. كلهم قد قعدوا هنا للإقراء. وبيتهم بالعلم مشهير. وقل منهم ومن نسائهم من لا يقول الشعر. وأما أبو الحسن فهو فيه آية الزمان أجادة المعنى وتنقيح لفظ وسرعة بديهة. وكثيرا ما يمليه ارتجالا فيجود ويتقن. وله مشاركة حسنة في العلم. ورواية عن الشيوخ ورحلة إلى المشرق حج فيها. وهو بالجملة من خواص أهل العلم وآحادهم. جالسته كثيرا وسمع كلامه في الأدب وغيره. وقرأت عليه مقالات الحريري. وكان يرد فيها ردا حسنا وينقدها نقدا محققا. وذاكرته فيها بمواضع عديدة كنت أتعقبها. فأثبت قولي فيها. واستحسنه. وحدثني بها عن الشيخ الفقيه العالم أبي عمرو عثمان بن سفيان التميمي سمعا عن أبي الحسين بن

جبير سماعا عن أبي الطاهر الخشوعي عن الحريري. وقرأت عليه
مقامة الدوحية وحدثني بها عن الخطيب أبي محمد بن برطلة قراءة عن
أبي زكرياء يحيى بن حسان القرطبي عن منشئها أبي بكر بن عياض
القرطبي وقرأت عليه رياضة المتعلمين للإمام الحافظ أبي نعيم وحدثني
بها عن الخطيب ابن برطلة المذكور قراءة عن أبي الخطاب بن واجب
وأبي محمد بن غليون عن أبي عبد الله بن سعادة وأبي بكر بن أبي ليلي
عن القاضي أبي علي الصديقي عن أبي الفضل محمد بن أحمد الأصبهاني
الحداد عن الحافظ بن نعيم. وقرأت عليه قصيدة الشيخ الحافظ أبي
عبد الله القضاعي التي امتدح بها الأمير أبا زكرياء يحيى بن عبد
الواحد بن أبي حفص . وهي مشهورة . أولها ((بسيط)):

أدرك بخيلك خيل الله أندلس إن السبيل إلى منجاة درس

وحدثني بها سماعا. وقرأت عليه قصيدة الشيخ الأديب الأوحدي
الفاضل أبي الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي القرطاجي
وهي المقلوبة من قصيدة إمرئ القيس في مدح المصطفى صلى الله
عليه وسلم. أجاد فيها وأبدع ما شاء. ورام الصعب فطاوع
الإنشاء. وهي مما ينبغي أن يقيد ولا يهمل. فلذلك رأيت إثباتها في

هذا الموضع مستخيراً لله سبحانه. وقد حدثني بها عن منشئها المذكور

وهي ((طويل)):

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| لعينيك قل إن زرت أفضل مرسل | قفا نيك من ذكرى حبيب ومترل |
| وفي طيبة فانزل ولا تغش مـ | بسقط اللوى بين الدخول فحومل |
| وزر روضة قد طال ما طاب نشرها | لما نسجتها من جنوب و شمأل |
| وأثوابك اخلع محرما ومصـ | لدى الستر إلا لبسة المتفضل |
| لدى الكعبة كم فاض دمعي لبعدها | على النحر حتى بل دمعي محمل |
| فيا حادي الآمال سربي ولا تقل | عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل |
| فقد حلفت نفسي بذاك و أقسمت | علي وآلت حلقة لم تحـ |
| فقلت لها لا شك أني طائـ | وانك مهما تأمري القلب يفعل |
| وكم حملت في اظهر العزم رحلها | فيا عجا من رحلها المتحمل |
| وعاتبت العجز الذي عاق عزمها | فقالت لك الويلات انك مرجل |
| نبي هدى قد قال للكفر نوره | ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل |
| تلا سورا ما قولها بمعـ | إذا هي نصته ولا بمعـ |
| لقد نزلت في الأرض منة هديه | نزول اليماني ذي العياب المحول |
| أتت مغربا من مشرق و تعرضت | تعرض أثناء الوشاح المفصل |
| ففازت بلاد الشرق من زينة بها | بشق وشق عندنا لم يحـ |
| فصلي عليه الله ما لاح بـ | كلمع اليدين في حيي مكـ |
| نبي غزا الأعداء بين قـ | وبين أكام بعد ما متأـ |
| فكم ملك وافاه في زي منجد | من بمنجرد قيد الأوابد هيكل |

وكم يمان رامح جاءه اكتسى
ومن ابطحي ليط منه نجاده
ازلوا بيدر عن سروجهم العدى
ونادوا ظباهم لا يفتك فتى
وفض جموعا قد غدا جامعا لهم
واحموا وطيسا في حنين كأنه
ونادوا بنات النبع بالنصر أثمري
ومن له سدوت سهمين فاضربي
فما أغنت الأبدان درع بها اكتست
وأضحت لواليتها ومالكها العدى
وقد فر منصاعا كما فر خاضبا
وكم قال يا ليل الوغى طلعت فانبلج
فليت جوادي لم يسر بي إلى الوغى
وكم مرتق أوطاس منهم بمسرج
وقرطه حرصا كمصباح مسرج
فيرنوا لهاذ فوق هاديه طرفه
ويسمع من كافورتين بجاني
ترفع أن يعزى له شد شادان
ولكنه يمضي كما مر مزبد
ويغشى العدى كالسهم أو كالشهاب أو
جياذ أعادت رسم رستم دارسا

بضاف فويق الأرض ليس بأعزل
بجيد معما في العشيرة مخول
كما زلت الصفواء بالمتنزل
ولا كبير اناس في بجاد مزمل
بنا بطن خبت ذي ركام عقنقل
إذا جاش فيه حميه غلي مرجل
ولا تبعدينا من جنالك المعلل
بسهميك في أعشار قلب مقتل
ترائبها مصقولة كالسجنجل
يقولونن لا تملك أسى وتجمل
لدى سمرات الحي ناقف حنظل
بصبح وما الإصباح منك بأمثل
وبات بعيني قائما غير مرسل
مق ما ترق العين فيه تسفل
أمال السليط بالذبال المقتل
بناظرة من وحش وجرة مطفل
أثيث كقنو النخلة المتعكل
وإرخاء سرحان وتقريب تنفل
يكب على الأذقان دوح الكنهل
كجلمود صخر حطه السيل من عل
فهل عند رسم دارس من معول

وريعت بها خيل القياصر فاختلفت
سبت عربا من نسوة العرب تستبي
وكم من سبايا الفرس والصفير أسهرت
وحرن بدرؤا من ليالي شعورها
وأبقت بأرض الشام هاما كأنها
وما جف من حب القلوب بغورها
وكم جبن من غبراء لم يسق نبتها
لخضراء ما دبّت ولا نبتت بها
شدا طيرها في مثمر ذي أرومة
قشدت بروض ليس يذبل بعدها
وكم هجرت في القبيظ تحكي دوارعا
وكم أدلجت والقر يهفو هزيره
وخضن سيولا فضن بالبيد بعد ما
وكم ركزوا رمحا بدعص كأنه
فهمدت بقضب شلن بعد إمالة
وجيش بأقصى الأرض ألقى جرانه
يدك الصفا دكا ولو مر بعضه
دعا النصر والتأييد رايته اسحبي
لواء منير النصل سام كأنه
كأن دم الأعداء في عذباته
صحاب فروا هام العداة وكم فروا

جواحرها في صرة لم تزيل
إذا ما اسبكرت بين درع ومجول
نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل
تضل المـدارى في مثنى ومرسل
بأرجائه القـصوى أنايـش عنصل
وقيعائها كـأنه حب فلفل
دراكا ولم ينضح بمـساء فيغسل
أساريع ظبي أو مساويك اسحل
وساق كانبوب السقي المـذل
بكل مغار القتل شدت يذبـل
عدارى دوار في ملاء مذيـل
ويلوي بأثواب الغنـيف المـثقل
أثرن غبارا بالكديد المركـل
من السيل والغناء فلكة معـزل
بأمراس كتان إلى صم جنـدل
وأردف أعجازا وناء بكلـكـل
وأيسره على الستار فيذبـل
على أثرينا ذيل مرط مرحـل
منارة ممسى راهب متبتـل
عصارة حنان بشيب مرجـل
صفيـف شواء أو قدير معجـل

وكم أكثروا ما طاب من لحم جفنة
 حكى طيب ذكراهم ومر كفاحهم
 لإدماح الخير الخلق قلبي قد صبا
 ولم يشني عن وصفه خود انشئت
 فدع من لأيام صحن له صبا
 وأصبح عن أم الخويرث ما سلا
 وكن في مديح المصطفى كمديح من
 وأمل بها الأخرى ودنياك دع فقد
 وكن كمنيب للفؤاد مؤنب
 ينادي : إلهي إن ذنبي قد غدا
 فكن لي مجيراً من شياطين شهوة
 وينشد دنياه إذا ما تدللت
 فان تملي حلي بخير وصلتـه
 وأحسن بقطع الجبل منك وبتـه
 أيا سامعي مدح الرسول تنقشوا
 وروضة حمد للنبي محمد
 ويا من أبي لإصغاء ما أنت مهتد
 فلو مطلقاً أنشدتها لفظها ارعوت
 ولو سمعته عصم طود أمانـه
 وأنشدني حفظه الله لنفسه ((طويل)) :

وشحم كهذاب الدمقس المفتل
 مداك عروس أو صلاية حنظل
 وليس صباي عن هواها بمنسل
 علي هضم الكشح ربا المخلخل
 ولا سيما يوم بدارة جلجل
 وجارتها أم الرباب بمأسـل
 يقلب كفيه بخيط موصـل
 تمتعت من هو بها غير معجل
 نصيح علي تعذاله غير مؤتل
 علي بأنواع الهموم ليتـل
 علي حراس لو يسرون مقتـل
 أفاطم مهلا بعض هذا التذلـل
 وان كنت قد أزمعت صرمي فأجل
 فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
 نسيم الصبا جاءت برى القر نفل
 غداها غير الماء غير المحلل
 وما إن أرى عنك العماية تنجلي
 فألهيتها عن ذي ثنائم مغل
 فأنزل منه العصم من كل مزل

قفوا سلموا هذا ضريح محمد

البيتين وقد مر ذكرهما وأنشدني أيضا لنفسه ((رجز)) :

حدثني أبجد أضحى بما أهدى إلى الأذان آذاني
كأنما في فمه جيفة أو شعرة من لحية الداني

وأنشدني أيضا لنفسه ((رجز)) :

يا من إذا أودع سرا فلا دين له عن نشره يردعه
كالبوق إن أودع فيه فم ألطف ربح ذاع مستودعه

وأنشدني في الدينار ولم يسم قائله وذلك عند قراءتي عليه قول

أبي محمد الحريري ((رجز)) :

اصفر ذي الوجهين كالمنافق

يهيم الناس بالدينار حبا وما فيهم سوى من يصطفيه
فدو الوجهين عندهم وجيه وذا نقبض ما قد صح فيه

يعني قوله صلى الله عليه وسلم: ذو الوجهين لا يكون عند الله

وجيهاً وأنشدني في ضده « رجز » :

صديق المرء كالدينار طبعاً وكيف يخالف المرء الطباعا
تراه ما أقام يقيم جاهاً وإن فارقت أجدى انتفاعا

قلت وهذا اثبت في وصف الدينار من قول بعضهم انشده
الحاتمي في أبيات المعاني ((رجز)):

ومعشوق يرقص كل يوم ترى في وجهه أبدا كلاما
إذا فارقه أجداك نفعاً ولا يجدي عليك إذا أقاما

ومن هذه اخذ الحريري قوله ((رجز)):

وشر ما فيه من الخلاق إن ليس يغني عنك في المضائق
إلا ذا فرا فرار الآبق

وأنشدني للإمام أبي الطاهر السلفي رضي الله عنه «رجز»:

رب كتاب لي قابلته وقلت في نفسي صححته
حتى إلى عاودته مرت وجدة تحريفاً فأصلحته

وأنشدني لامرأة من أهل بيته لم يسمها ملغزة في اسم
تميم ((طويل)):

يقولون لي هذا حبيبك ما اسمه فما استطعت إفشاء وما استطعت اكتم
فقلت اسمه ميم وتاء مقدم فهذا اسم من أهوى فديتكم افهم

وأنشدني لها أيضا في صفة شعر ((طويل)):

إذا انسدت منه عليها ذؤابة كفض أراك عائق الغصن أرقم
أثيث طويل فهو يستر جسمها إذا نزعته عنه ملابس أسحـم
كان الصباح ارتاع من خوف طالب بشار فأضحى بالدجى يتكتم

وأنشدني أيضا وأظنه لنفسه ((وافر)):

رغيف أبي علي حل خوفا من الأضياف مزلة السماك
إذا كسروا رغيف أبي علي بكى يبكي بكاء فهو باك

وأنشدني أخوه الفقيه أبو حفص عمر بن إبراهيم التيجاني

لنفسه ((رجز)):

سرك إن أعلمته ثانيا فاعلم بان قد آن أن تفشيه
لأن ما اضر في حالة إلا فراد تستخرجه الشيه

قلت وهذا استدلال بتمثيل نحوي مليح مناسب جدا يدل على
طبع فاضل ومقول فاضل . وأنشدني للفقيه أبي المطرف بن عميرة
رحمه الله ((خفيف)):

بائعون مودة هي عندي كالمصراة بيعها بالخداع
فسأقضي بردها ثم اقضي معها من ندامتي ألف صاع

وأنشدني له أيضا ((طويل)):

شرطت عليهم عند تسليم مهجتي وعند انعقاد البيع قرنا يواصل
فلما أردت الأخذ بالشرط اعرضوا وقالوا يصح البيع والشرط باطل

ولقيت بها الفقه الأفضل أبا عبد الله محمد أبي القاسم الأزدي

ويعرف بالقاسم بضم القاف وهو رجل فاضل وقور ذو سمت وهيئة

ومن العدول البلد ، رحل إلى المشرق فلقي الناس واخذ عنهم .
قرأت عليه جزءا في فضيلة من اسمه محمد واحمد تخريج الشيخ الحافظ
أبي عبد الله الحسيني بن احمد بن عبد الله بن بكر النجار . وحدثني به
عن وجيه الدين منصور بن سليم الإسكندراني عرف بابن العمادية
سماعا عليه بالإسكندرية عن أبي القاسم عبد الرحمان ابن عبد المجيد
الصفراوي سماعا . وقرأت عن أبي الفداء إسماعيل ابن علي الموصلي
عن أبي عبد الله محمد بن بركة الصلحي عن أبي الحسن علي بن احمد
الدهان عن الشريف أبي الحسن محمد بن احمد بن المهدي عن ابن
بكير مصنفه وهذا الجزء جزء لطيف رأيت أن اذكر هنا أحاديث
مختصرة الأسانيد ليخف حفظها وعلى أنها مضعفة . فقد قال الحافظ
أبو عمر بن عبد البر أنهم كانوا يتساهلون في أحاديث الفضائل .
فيروونها عن كل قوي وضعيف . وإن الأحاديث عن انس بن مالك
رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوقف
عبدان بين يدي الله عز وجل . فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا وبما
استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا نجاز به الجنة فيقول الله لهما عبدي
ادخلا الجنة . فاني آلت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه احمد
ولا محمد . وعن أبي إمام الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من ولد له مولودا سماه محمدا حبا وتبركا باسمي
كان هو ومولوده في الجنة وعن أبي عباس ووائلة بن السقع رضي الله
عنه من ولد له ثلاثة أولاد ولم يسمي احدهم محمدا فقد جعل وفي
رواية فقد جفاني . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علي
الصلاة والسلام ما اجتماع قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد فلما
يدخلوه في المشورتهم إلا لم يبارك لهم . وفي رواية عنه ما من قوم
كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه احمد أو محمد فادخلوه فيء
مشورتهم إلا خير لهم . وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال
تسموهم محمدا ثم تسبوهم وعن علي عنه السلام . ما من مائدة
وضعت وحضر عليها ما من اسمه احمد أو محمد إلا قدس الله ذلك
المتزل في كل يوم مرتين . وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده
مرسلا قال إذا سميتم محمدا فعظموه ووقروه ووجلوه ولا تذلوهم ولا
تحقروهم ولا تجبهوه تعظيما لمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الحسن
البصري موقوفا قال إن الله عز وجل ليوقف عبد بين يديه يوم القيامة
اسمه احمد أو محمد قال . فيقول الله تبارك وتعالى محمد عبدي أما
استحييت منه أن تعصيني واسمك باسم حبيبي محمد فينكس العبد رأسه
ثم يقول اللهم إني فعلت . فيقول الله يا جبريل خذ بيدي عبدي

فادخله الجنة . فان استحي أن أعذب بالنار من اسمه على اسم حبيبي محمد . وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سميت الولد محمدا فأكرموه و أوسعوا له في المجلس . ولا تقبحوا له وجها . وعن ابن العباس عنه ما من أهل بيت منهم من اسمه محمد إلا لم يزال في البركة في كل يوم وليلة . وعن أبي هريرة عنه . قال لا يدخل الفقر بيت فيه اسمي . وعن علي رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم . ما من أهل بيت فيه اسم نبي إلا بعث الله إليهم ملكا يقدسهم بالغداة والعشي . وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أكل طعام قط من حلال عيه رجل اسمه اسمي إلا يضاعف الله في طعامهم . وعن أب سعيد عنه عليه السلام : من ولد له مولودا فليحسن اسمه وأدبه فإذا بلغ فليزوجه فان بلغ ولم يزوجه فأصاب إثمًا باء يائمه . انتهت أحاديث الجزء المذكور وفي معناها ما اخبرني الشيخ المسند المعمر أبو محمد بن هارون عن أبي قاسم بن الطيلسان عن أبي جعفر بن عبد المجيد عن أبي القاسم بن بشكوال عن أبي عمران بن أبي ثليب عن أبي عمر بن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان عن قاسم بن اصبح عن عبد الله بن أبي مصرة عن مطرف بن عبد الله عن ابن أبي مليكة عن ابن جريح يرفعه . قال من كان له ذو

بطن فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله غلاما . وما كان اسم محمد في
 بيت إلا جعل الله البركة في ذلك البيت . وبه إلى ابن أبي مصرّة . قال
 حدثني بن أبي قدامة العمري عن أبيه يرفع الحديث إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم قال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان
 وثلاثة . ولقيت بها الشيخ الفقيه الحاج المبارك الأفضل معين الدين أبا
 محمد جابر بن محمد ابن القاسم ابن حسان الوادي آشي . وكان من
 التجار في القيصرية . رحل إلى المشرق قديما . فلقي به الإمام علم
 الدين السخاوي . وسمع منه . وأجازه . وقرا عليه قصيدة الشيخ
 الامام ابي القاسم الشاطبي في القراءات وفي المرسوم . وحدثني بهما
 عنه . وقد قرأت عليه بعض أولى وجميع الثانية . واضله يمسك عليه .
 وحدثني بهما معا عن السخوي عن ضامهما المذكور وأجازني أجازة
 عامة وكتب لي بذلك خط يده . وقرأت عليه ارجوزة السخوي في
 المتشابه من ألفاظ القرآن وحدثني بها عنه قراءة هي في أوراق بديعة
 محكمة وارى أن اثبت منها هاهنا دررا وأولها ((رجز)):

| | |
|------------------------|--------------------------|
| قال السخاوي علي نظما | كان له الله الرحيم راحما |
| الحمد لله الحميد الصمد | مزل الذكر على محمد |
| فيه هدى للمهتدي ونور | وحكمة تشفى بها الصدور |

ثم مر في مقدمة الأرجوزة إلى أن قال ((رجز)):

| | |
|--------------------------|-------------------------------|
| وقد نظمت في جتياه الكلم | أرجوزة كاللؤلؤ المنظـم |
| لقبتها هداية المرتـاب | وغاية الحفاظ والطـلاب |
| أودعتها مواضعاً تخفى على | تالي الكتاب وتريح من تلا |
| رتبتها على حروف المعجم | فأفصحت عن كل أمر مبهم |
| فإن أردت علم لفظ مشكل | فانظر إلى الحرف الذي في الأول |
| فانه باب من الأبواب | وفيه ما رمت بلا ارتياب |
| ولا تعد أولاً مزيـدا | إلا إذا كان هو المقصـودا |

ثم أتم المقدمة وابتدأ حرف الهمزة فقال ((رجز)):

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| واقراً فأنزلنا بأي البقرة | على الذين ظلموا مخبره |
| لكن فارسنا عليهم جاء في | سورة الأعراف يقينا فعرف |
| وأخر الآيات يفسقونا | فيها وفي الأعراف يظلمونا |
| وجاء إبليس أبا واستكبرا | فيها وفي صاد أياما ذكرى |
| ومع وما انزل قل إلينا | و ءال عمران بما علينا |

ثم مر على الحروف واحدا واحدا إلى آخرها فقال في حرف

الياء ((رجز)):

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| واقراً ولا يأخذ منها عدل | من بعد لا يقبل منها واتل |
| وقبل لا تنفعها شفاعـة | هذا على قراءة الجماعة |
| إلا على قراءة المكـي | فانه بالتاء و البصري |

يذبكون مفردا في البقرة وزد يا ابراهيم واوا مظهره
وقرا في الأعراف يقتلوننا وفـت إن جاءوك يسألونا

ثم اتم الحروف فقال «رجز» :

| | |
|----------------------------------|--------------------------|
| واشكر لنظمي جـاءك | وقد تقظت كلمة المشتبه |
| لكنها معينت لمن تـلى | لا ادعي اني حصرت المشكلا |
| العدد مع أربعة من المئين لم تزدد | وخمسة من بعد العشرين |
| يباري الدهر في بقائه | وحمد الله على آلائه حمد |
| النبي الطاهر الكريم | وصلوات ربنا العظيم على |
| لي برحمة منه وحسن حالي | ويرحم الله امرءا دعسا |

وقرأت على الشيخ أبي محمد أحاديثا من أحاديث المعمرين
قال: حدثنا محمد بن عبد الباقي المقرئ بمدينة سنجار سنة أربعين
وست مئة. قال اخبرني قاضي القضاة أبو علي حسن بن اسماعيل
الخوي قال: اخبرنا الإمام اسعد بن اسعد الجرائي. قال: اخبرني أبو
الحاسم عبد العزيز بن علي بن يحيى. قال: اخبرني والدي أبو الحسن
قال: اخبرنا الشيخ الزاهد أبو علي الحسن بن خارج المرندي. قال:
سمعت يسرا خادما رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر. وكان
موضوعا بين قطن مندوف. وقد بلغ من العمر ثلاث مئة وستين سنة

بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : طوبى لمن راني أو رأى من راني . وبهذا الإسناد عنه عليه السلام انه قال : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها خلى ذكر الله ومن أوى إلى ذكر الله تعالى . وبه انه قال من كذب علي متعمدا فلتبوء مقعده من النار . وبه انه قال من أفقى الناس بغير علم لعنته الملائكة في السماء والأرض . ومن لقيته بها فسرني لقائه وولايته في ذات الله فنفعني ولائه وحاضرتة فأعجبني ذهنه وذكائه وصحبته فبهري فضله وحيائه وكرمه وسخائه وتواضعه ورجائه صاحبنا في الله وولينا وصديقنا في طاعته وصفينا أبو العباس احمد بن محمد بن ميمون الأشعري الملاقى يعرف بين سكان رايته مجريا إلى غاية من كمل ومبرزا في حلبة العلم والعمل . عذبة أخلاقه وفاضة زلالا . واستقامة أحواله كاللاني اعتدالا . وفاضة أنامله كاللزن انهمالا . أدرك مزايا الشيوخ على فتوة سنه . فما يتكلم في علم إلا قلت هذا معظم فنه . قد ألف الانقباض فما ييسط إلا يديه وصحب خصر الأمل فما يأمل غده ((طويل)):

| | |
|---------------------------|-----------------------|
| مقل من الموال إذ لا يضمها | ولكنه من كل ماثرة مثر |
| سري غني النفس ما تستفزه | زخارف دنياه بقل وكثر |

وله إعتناه بتصحيح الرواية وإغياؤه في تنقيح الدراية سمع من
الشيوخ واستجازهم واستجوزا له. فتسعة لذلك روايته. وله
مجموعات تشوق. ومألفات تعجب وتروق. منها كتاب في إكمال
التذيل لأبي بكر بن فتوح على كتاب الاستيعاب للحافظ لأبي عمر
بن عبد البر. قد اعتنى به اعتناء تاما. وهو إلى الآن لم يكمل. ومنها
كتاب وسمه بالاطلاع على ما يلزم في رفع الأيدي في الصلاة من
الإتباع.

ومنها برنامج جمعه لشيخه الفقيه العالم الأكمل الفاضل الصالح
الأديب الأوحى أبي بكر محمد بن الحسين ابن يوسف بن حبيش بفتح
الحاء في أسماء شيوخه. وقرأه عليه فكتب عليه بن حبيش رحمه الله ما
رأيت أن أقيده هنا بنصه لبراعة ودلالته على فضيلة القارئ والمقروء
عليه. وكان هذا الرجل رحمه الله آية الزمان في التواضع وطلب
الخمول وإفراط الانقباض مع براعته في فنون العلم وإجادته في النثر
والنظم واتساع روايته. فحدثني عنه صاحبنا وولينا في الله أبو عبيد
الله بن هريرة انه كان إذا عرف موضعه انتقل عنه إلى الموضع آخر لا
يعرف به. وارانى تخميساته الثلاثية لقصيدة الشقراطسي. وقد كتبها
صاحبنا أبو عبد الله بخطه. وقرأها عليه. وكتب عليها قراءته إياها

عليه. وخططه في ذكره بما ينبغي ثم دفعها اليه ليكتب له عليها. قال لي: فادخلها الى الدار. وقال لي: لا تستبطئي ثم خرج وقد بشر كل ما خططه به. ومد اسمه في ذلك المبشور وكذلك بشر كل ما خططت به والده الا الشيخ الكاتب فانه ابقاها وقال لي: نعم كان شيخنا مسنا. وكان يكتب. واراني صاحبنا ابو عبد الله هذا البشر وخط ابن حبيش عليه. وهذا نهاية ما يكون من التواضع وترك التظاهر. واغرب من هذا ما كتبه لصاحبنا ابي العباس المذكور اعني احمد بن محمد بن ميمون الاشعري المألقي المعروف بابن السكبان على ما جمع له من اسماء شيوخه. ومن خط ابن حبيش نقله: الحمد لله احسن هذا الفاضل في ما صنع. احسن الله اليه وبالغ في ما جمع بلغ الله به اشرف المراتب لديه. غير اني اقول واحدة ما سريرتي لها جاحدة. واصرح بمقال. لا يسعني كتبه بحال. والله ما انا للاجازه باهل ولا مرامها لدي بسهل. اذ من شرط المجيز ان يعد فيمن كمل ويعد العلم والعمل. واللهم غفرًا. كيف ينيل من عدم وفرًا أو يجيز من اصبح صدره من المعارف قفرًا وصحيفته من الصالات صفرًا وكيف يرتسم في ديوان الجلة. من يتسم بالافعال المخلة ومتى يقترن الشبهة بالابريز. او يوصف السكيت بالتبريز ومن ضعف النهى

مجانسة الاقمار بالسهي. ومن اعظم التوبيخ تشيخ من لا يصلح
 للتشيخ. وان هذا المجموع ليروق ويعجب. لكنه جمع لمن لا
 يستوجب وان القراءة قد تحصلت. ولكن القواعد ما تأصلت وان
 القارئ علم. ولكن المقروء عليه عدم. وقد شكرت لهذا السري ما
 جلب. وكتبت مسعفا له بما طلب. وقرنت الى دره هذا المخشلب
 وقلت وحلي عطل ونطقي خطل مكره اخاك لا بطل. والله ينفع بما
 اخلص له من الاعتقاد ويسمح للبهرج عند الانتقاد. وكتب العبد
 المذنب المستغفر محمد بن الحسين بن يوسف بن حبيش حامدا الله
 تعالى ومصليا على نبيه الكريم المصطفى وعلى آله اعلام الطهارة
 والهدى. ومسلما تسليما. وقرات على صاحبنا ابي العباس المذكور
 قصيدة نظمها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم طويلة تزيد على
 ثلاثمائة وعشرين بيتا رام فيها ايعاب ما نقل من معجزاته صلى الله
 عليه وسلم ووسماها بخلاصة الصفاء في خصائص المصطفى. وهي
 مهذبة ومنقحة لا حشوة فيها البتة ومطلعها ((طويل)):

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| محمد الاقي بحكم وحكمة | لاحمد خير الخلق اهدي تحيقي |
| ولو ملأ المدايح كل صحيفة | مدحت رسول الله والمدح دونه |
| وكالشجر الاقلام ما خط جفت | ولو كان كالبحر المحيط مداده |

يمد الدنيا بسبعة ابجر لما بلغت
من مدحه عشر حبة —————
كفاك ثناء الله في الفتح والضحى
وتكريره اياه في غير سورة
فماذا يقول العالمون وربهم
كساه من الامداح اسبغ حلة
ولكن في جهد المقل لنفسه
رجاء وحسن الظن بيت القصيدة

وكتب على ظهر الجزء من نظمه ((بسيط)):

تقرب الناس للمولى بجهدهم
من مدح من ساد كل خلق في الازل
اموا الجنب بامداح ومعدرة
وحمت حول الحمى في غاية الخجل

ثم اطلعت على تقصير مطلبهم فالعجز عن مبدأ الادراك من
عمل وانشد حفظه الله لنفسه ((كامل)):

من كان يرجو الخلق في حاجاته
خان الذي يرجى وخاب المرتج
فاقصد إله الخلق إما حاجة
عرضت فباب الله ليس بمرتج

وانشد لنفسه أيضا ((بسيط)):

أزكى الخليفة خلقا عند خالقهم
ذو حرفة عن سؤال الناس تغنيه
وخير ما اتصف المرء التقى به
في دهر تركه ما ليس يعنيه

وانشدني أيضا لنفسه ((خفيف)):

تركي الذنب دون شك
أكد من فعلي الرغائب
فميل نفسي لعكس هذا النظام
من أعجب العجائب

وأنشدني أيضا ((طويل)):

| | |
|------------------------|------------------------|
| أيا خالق الخلق لي مطلب | ومالي سبيل لأسبابه |
| غذاء حلال بلا منه | وثوب وبيت لا ثوى به |
| وجودك أملت يا خالقي | فقد جئت للبيت من بابيه |

وأنشدني لنفسه أيضا رحمه الله تعالى ((طويل)):

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| يقولون لي إن الشهادة مكسب | ولم تشتغل يوما بصرف المني لها |
| فقلت لهم لي في الشهادة مذهب | أنا في سبيل الله أرجو مناهيها |

ولقيت بها الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبا يعقوب يوسف ابن إبراهيم بن أحمد بن عقاب الجذامي. فسمعت عليه أحاديث من الموطأ. ومن جامع البخاري. ومن سنن الدراقطني. وناولني جميعها. وحدثني. بها كلها عن الشيخ الفقيه القاضي المحدث أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري هو ابن قطرال. فأما الموطأ فقرا عليه صدرا منه وسمع سائره. وسمع عليه بعض كتاب البخاري وبعض سنن الدارقطني. وأجازه سائرها. وحدثه بها ثلاثتها بأسانيده فيها. وهو يحمل البخاري عن أبي محمد بن بونه عن أبي بحر الاسدي عن العذري عن أبي ذر الهروي. ويحمل السنن عنه عن أبي علي الصديقي عن أبي الفضل بن خيرون وحدثني بالأحكام الكبرى سمعا

لبعضها عليه. ومناولة عن ابي الحسن سهل بن مالك عن مؤلفها.
وأجازني إجازة عامة. وكتب لي بهذا خط يده. وسأله عن مولده.
فاخبرني انه في سنة أربع عشرة وستمائة. ولقيت بها ثانية الشيخ
الفاضل أبا محمد بن هارون فأكثرته مجالسته والتردد إليه وقرأت عليه
برنامج في أسماء شيوخه وقرأت عليه جملة أحاديث منشورة. وقرأت
عليه برنامج جده لأمه الشيخ الفقيه المقرئ الجليل أبي جعفر أحمد بن
محمد بن إبراهيم بن خلصة الحميري. وبرنامج القاضي الأوحى أبي
القاسم أحمد بن يزيد بن بقي. وكلاهما تخريج ابن الطيلسان وتأليفه.
وحدثني بهما معا عن ابن الطيلسان قراءة منه عليه وعنهما إجازة.
وقرأت عليه كتاب الوعد والانجاز لابن الطيلسان. وحدثني به عنه.
وهو جزء جمع فيه أحاديث لمن سأله جمعها ليرويها عنه. وقرأت عليه
التسبيح الموجز للفقيه الخطيب العالم أبي الحسن سهل بن مالك
وحدثني به عنه وقرأت عليه درر السمط في خير السبط لأبي عبد الله
القضاعي. وحدثني به عنه سماعاً وقراءة. وهو جزء وضعه في مقتل
الحسين رض الله عنه. نحاً فيه طريقة أبي الفرج بن الجوزي وكنت
أتكلم معه في تعقب بعض مواضع منه قولي فيها وأنشدني أبياتا من

شعره ومن شعر غيره وسمعت منه. وقرأت عليه أشياء غير واحدة
فمن ذلك قوله:

ما أنشدني لشيخه القاضي أبي القاسم بن بقي ((سريع)):
ما ميلق العالم إلا الذي يخبره العالم في الميلاق
ذاك الذي يكشف أسرارهم فيفضح الفاجر والمتقي

وله أيضا ((طويل)):

كرامة من لا يعلم الغيب إنما تكون على مقدار ما يتوهم
فكم من مسيء عنده وهو محسن وكم محسن في ظنه وهو مجرم
فذاك لديه مزدري مع فضله وذا مع ما فيه من النقص مكرم
فلا ترج إلا الله لا رب غيره تل فوق ما تهوى وما تتوهم

وقرأت عليه قال أنشدني الشيخ الفقيه أبو بكر بن محرز الزهري
بيجاية ملغزا في نارنجة ((رجز)):

وذات حمل وهي حمل نفسها لا حرة في جنسها ولا بغية
قد حملت في بطنها اجنة أهلة إبراهيم لا ينبغي
كأنها _____ لسمها وخلها ابن اصغ

ولما لقيته سألتني عن اسمي وكنيتي ونسبي وبلدي وأين انزل
فأخبرته بذلك. فقال لي لقيت ابن الطيلسان فسألني كذا فأخبرته.

فقال لي لقيت أبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد اللخمي فسألني كذا فأخبرته. فقال لي لقيت الحافظ أبا بكر بن العربي فسألني فأخبرته فقال لي لقيت الشريف أبا القاسم علي بن إبراهيم الحسيني. فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت الحافظ أبا محمد عبد العزيز بن محمد الكتاني. فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت الحافظ أبا النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد بن الأرموي. فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت أحمد بن علي بن المهدي الحافظ فسألني فأخبرته فقال لي لقيت أبا مسلم غالب بن علي بن محمد. فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت أبا بكر محمد بن عيسى فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت أبا عبد الله الحسين ابن علي بن يزيد الرفاعي فسألني فأخبرته. فقال لي لقيت هذبة بن خالد القيسي فسألني كما سألتك وقال: لقيت حماد بن سلمة. فسألني كما سألتك. وقال لقيت ثابتا البناي. فسألني كما سألتك وقال لقيت أنسا فسألني كما سألتك وقال لقيت النبي صلى الله عليه وسلم فسألني كما سألتك وقال يا انس أكثر من الأصدقاء فإنكم شفعاء بعضكم لبعض. وهذا الحديث قد أورده أبو بكر بن العربي في مسلسلاته وقال لم يقل شيخنا الشريف في السؤال أبي محمد الكتاني له. وبلدي لأنهما كانا دمشقين فلم يحتج وهو ببلديه إلى السؤال عن

بلده. قلت قد يكون السؤال في مثل هذا مع العلم جريا على طريق التسلسل. ولا يشك إن كثيرا من المذكورين قد عرفوا من حدثوه قبل السؤال. ولعل ذكر البلد إنما سقط للمذكور فتوهم ابن العربي أن ذلك لما ذكر. وبعيد أن يعرف أنه بلديه ولا يعرف اسمه فلو كان العلم بذلك يغني عن السؤال لم يسأله عن اسمه أيضا ولا عن منزله. وهذا واضح والله أعلم. وذكر ابن العربي بعقب هذا الحديث حديثين في معناه أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم : استكثروا من الإخوان فان لكل مؤمن شفاعة والآخر قوله صلى الله عليه وسلم إذا جاء الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فانه أوصل للمودة. وقرأت عليه أيضا قال حدثنا ابن الطيلسان بقراءتي عليه قال حدثنا أبو الحسن الغافقي بقراءتي عليه بمتعبده بجامع قرطبة. قال أخبرنا ابن العربي حدثنا أبو المطهر سعد بن عبد الله الأثر حدثنا الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو بكر بن خلاد. حدثنا الحارث بن أبي أسامة. حدثنا هذبة أخبرنا همام أخبرنا القاسم بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن محمد هو ابن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فابتعت بعيرا. فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهرا. حتى

قدمت الشام فاذا هو عبد الله بن انيس الانصاري. فاتيت منزله.
فارسلت اليه ان جابراً على الباب. فرجع الي الرسول وقال جابر بن
عبد الله ؟ فقلت نعم . فرجع اليه فخرج الي فاعتنقته واعتنقني قال:
قلت حديث بلغني انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المظالم لم اسمعه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
يحشر الله العباد او قال الناس شك همام وأوماً بيده إلى الشام عراة
عزلاً بهماً. قال قلت ما بهماً قال ليس معهم شيء. فيناديهم بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب. انا الملك الديان لا ينبغي لاحد
من اهل الجنة ان يدخل الجنة وواحد من اهل النار يطلبه بمظلمة. ولا
ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل النار وواحد من اهل الجنة يطلبه
بمظلمة حتى اللطمة قال قلت وكيف تأتي الله حفاة عراة عزلاً. قال
بالحسنات والسيئات. وقرأت عليه ثنائيات مالك عن ابن الطيلسان
عن ابن بقي بسنده في الموطأ. وقد تقدم ان شيخنا ابا محمد اكمل
الموطأ على ابن بقي قراءة وسماعاً وقرأت عليه ثلاثيات البخاري نحو
قرائته لها على ابن الطيلسان عن القاضي ابي محمد عبد المنعم بن محمد
بن عبد الرحيم الخزرجي عن الامام ابي سعيد حيدر بن يحيى الجلي
عن الامام ابي المحاسن عبد الواحد بن سليمان الطبري عن الشيخ

الزاهد هبة الله بن محمد القزويني عن الفربري عن البخاري. وقرات
عليه عن ابن الطيلسان قراءة على ابي الحسن المقدسي كتاباً عن أبي
عبد المالك بن أبي القاسم الأزدي عن أبي عامر محمود بن أبي القاسم
الأزدي. عن أبي محمد عبد الجبار بن محمد المروزي عن أبي العباس بن
أحمد المحبوبي عن الترمذي عن اسماعيل بن موسى الفزاري عن عمر
بن شاعر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض
على الجمر قال ابن الطيلسان. هذا حديث عال وقف في مصنف أبي
عيسى ثلاثياً. وليس في المصنف مثله ولقيت بها الشيخ الفقيه الصالح
الفاضل أبا العباس أحمد بن موسى بن عيسى بن أبي الفتح البطرني
منسوب إلى بطرنة بفتح الطاء واسكان الراء وهو مؤدب في بعض
أرباض تونس ضرير البصر دين صالح مفتن بالغلم وروايته مواظب
على أفعال الخير. لقي جماعة من العلماء. وسمع من أبي عمرو بن
الشقر وقرأ عليه كثيراً وروى عنه. واجازه قرأت عليه الأربعين
المسلسلة لأبي الحسن بن المفضل المقدسي. وحدثني بها عن ابن الشقر
عنه. وكان عنده منها أصل ابن الشقر بخطه الذي قرأه على مؤلفه.
وكان يمسك عليه في وقت قراءتي مع أصله الذي كتبه هو بخطه وقراه

على أبي عمرو المذكور وسلسلة معه جميع ذلك وسمعت من لفظه الحديث الاول منه. وهو اول حديث سمعته منه. وسمع اخي يحيى الاربعين حديثا المذكورة بقراءتي عليه. وسلسل معه جميعها. واجازني واياه اجازة عامة. وكان يحضر معنا كثيرا مجلس شيخنا ابي العباس بن الغماز للسمع. وكانت له مسموعات ومرويات لم يتسع الوقت لاختها عنه. والحمد لله على كل حال. ثم سافرنا من مدينة تونس أمنها الله تعالى. فمررنا على باجة ثم على خولان فتياسرنا منها على طريق بونة وأخذنا على طريق القلاع. فدخلناها قلعة قلعة. وهي ذوات عدد. وليس بها ما يذكر ولا يؤرخ. ثم على قسنطينة على الطريق الأولى. ثم على بجاية فرأيت بها الشيخ الصالح المسن ابا الحسين الرندي وهو ابن أخي الأديب النحوي أبي علي عمر بن عبد المجيد الرندي شارح كتاب الجمل. وقد أدركه وقرا عليه وسمع منه ومن غيره. وهو حين رايته لقي ما به حراك من الكبر ولكنه صحيح الذهن كلمته في الرواية عنه فرايته لا يشتهي الكلام في ذلك وآثرت التخفيف عليه. وان لا اعنته في كثرة الكلام والمراجعة مع قلة روايته. فاستوهبت منه الدعاء وانصرفت. ولقيت بها الشيخ الفقيه الفاضل الخطيب المحدث ابا عبد الله بن صالح. فقرات عليه برنامجا في أسماء

شيوخه في أصل بخطه. وقرأت عليه بعض درر السمط. وناولنيه بحق
قراءته إياه على مؤلفه أبي عبد الله القضاعي. وقرأت عليه بعض
الكتاب المحتوي على الشواذ من القراءات للإمام أبي عمر المقرئي.
وناولنيه في أصل له مليح متقن. ووهبه لي. وقال لي ناولته لك مشيراً
إلى الهبة مبسطاً لي بذلك. وناولني كتابه سبويه بحق قراءته إياه على
أبي عثمان بن زاهر عن أبي عبد الله بن نوح عن أبي الحسن بن النعمة
عن أبي محمد بن السيد عن أخيه أبي الحسن عن الأستاذ أبي محمد بن
يونس عن الفقيه أبي محمد بن الأسلمية الحجازي عن أبي نصر هارون
بن موسى عن أبي علي البغدادي عن ابن درستويه عن المبرد عن
المازني عن الخفش عن سبويه وناولني برنامج أبي محمد بن عبيد الله
الحجري روايته عن ابن السراج عنه. وقرأت عليه بعض رسالة ابن
أبي زيد وناولنيها. وحدثني بها عن ابن زاهر قراءة عن ابن نوح
بسنده. وناولني ابن نوح بسنده. وناولني كتاب الشهاب روايته عن
ابن زاهر قراءة وعن ابن قطرال سماعاً وناولني كتاب القربة إلى الرب
العالمين في فضل الصلاة على سيد المرسلين بحق قراءته إياه على ابن
السراج عن مؤلفه أبي القاسم بن بشكوال. وناولني كتاب المصابيح
تأليف الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود. وحدثني به عن ابن برطله

بسنده. وناولني مختصر حلية الأولياء للحافظ ابي نعيم باختصار شيخه
الفقيه العالم الصالح ابي الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النفزي
عرف بابن قبوش. وحدثني به عنه وقرأت عليه لابن قبوش
(طويل):

غنيت بما عندي ومالي لا أغنى واعرضت في قصدي عن العرض الأدنى
إلى الملا الأعلى علوت بهمتي فراققت ما يبقى وفارقت ما يفنى
تركت للذات البهائم أهلها وهمت بما به عالم المعنى

وأنشدني حفظه الله للإمام الحافظ أبي محمد عبد الحق الأزدي
من قوله حين ولي قضاء بجاية ((وافر)):

وكانت لي ذنوب موبقات يضيق بحصرها حرف الروي
فلما إن وليت الحكم يوما أتى الوادي فطم على القري

ثم سافرنا من بجاية. فمررنا على قرية ملالة وهي بالقرب منها
فرأيت بها الفقيه أبا علي منصور بن محمد الزواوي المشدالي. ومشدالة
قبيلة من زواوة. ويلقب بناصر الدين لقبا لزمه من الشرق وقد رحل
قديما إليه فقرا به الأصول والفروع دراسة وتفقهها وله منها حظ وافر
ولكنه غير معتن بالرواية ولا له فيها حظ.

وقد حدثني انه حضر وفاة أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل
السلمي بالزعة من رملة الشام. وسأله عن التاريخ وكان غرضي
فلم يحفظه شهرا ولا عاما وهذا نهاية ما يكون من الإغفال وحسبنا
الله في كل حال ثم رحلنا على طريقنا الأولى إلى مليانة فتيامنا منها
على طريق مازونة مثنوى خطوط الزمان ومناخ ركاب الحدثان
وهي بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بحرف واد منقطع شبه
قلعة. ولكنها واهية حسنا ومعنى. وليس بها ما يتعرض لذكره البتة.
ثم مررنا على مدينة وهران وهي مدينة مليحة حصينة برية بحرية.
وهي مرسى تلمسان وأنظارها ومتجر تلك النواحي ولكنها لما طرقها
من نواب الدهر مطرقة. وجيوش الخطوب الملمة بها محدقة. قارعتها
حتى قرعت ساحتها ونافحتها بسموم الآفات حتى ذهبت صباحتها.
فألقت بيدها مستسلمة وعادت بعد ضوءها مظلمة لا وشل بها
يشفي غله ولا طباً يدواي علة. انتشلها الزمان فلم يبق بها تقيا. وأبدلها
الحدثان من كل بشاره نعيًا. لا تلقى بها معمل براعة ولا ترى فيها
حلف براعة بل خرس بها لسان التلاوة وزيد بها حمار الجهل على
الفودين علاوة لم يطعموا العلم ولا ذاقوا له حلاوة بل تبرؤوا منه
فكلهم فالج بن خلاوة فيها عجبا لي اصف بالفناء وهران كأني لم أر

سكان تلمسان ثم وصلنا إلى تلمسان وكانت نيتي ان أقيم بها مدة حتى أجد صحبة قوية اقطع معها المفازة التي في طريقها إلى رباط تازا. وهي منطقة موحشة لا تخلو من قطاع الطريق البتة. وهم بها اشد خلق الله ضررا وأكثرهم جراءة واقلهم حياء ومروءة لا يستقلون القليل ولا يعفون عن ابن السبيل ليس في أصناف القطاع أحسن منهم همما ولا أوضع منهم نفوسا ولا أكثر منهم إقداما على كل صالح وطالح لا ينبغي لمسلم ان يغرر بلقائهم فلما وقفنا على باب تلمسان صادفنا العادة الكريمة من لطف المولى سبحانه فالفينا قافلة تخرج وهي كبيرة تزيد على الألف وقال لنا قائل على الباب إن لهم في محاولة الخروج نحو من ثلاثة أشهر حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة فدخلنا إلى البلد وخرجنا ساعة دخولنا إلى زيارة قبور الصالحين بالموضع المعروف بالعباد وزرت قبر الشيخ الصالح أية زمانه أبي مدين رضي الله عنه. ثم رجعنا إلى البلد فبتنا به. ثم خرجنا من الغد وأدركنا القافلة بحمد الله بوجدة وهما مدينتان بينهما مسافة قليلة في بسيط مستو. وقد دثرتا فلم يبق منهما الا رسوم حائلة وأطلال ماثلة. والقديمة أشدها دثورا. وبهما عمارة قليلة. فرحلنا منها مع القافلة

حتى وصلنا إلى رباط تازا. وذلك في آخر رمضان ثم عيدنا في مدينة
فاس. وقلت في ذلك ((بسيط)):

قالوا تعيد في فاس فطب فرحا فقلت مالي بها دار ولا عطن
فاس ومكناسة وطنجة وسلا عندي كزديك لا أهل ولا وطن
بغداد قفر إذا لم تحولي سكنا والقفر بغداد إن أهلي بها قطنوا

ثم مررنا على مكناسة فلقيت بها الشيخ الفقيه المحدث القاضي
أبا الحجاج يوسف بن أحمد بن الحكم الثقفي التجيبي الاندلسي. وهو
شيخ فاضل راوية. لقي جماعة من كبار العلماء واخذ عنهم وقيد لي
بخطه منهم أبا الربيع بن سالم وأبا الحسن بن قطرال وأبا الحسن بن
خيرة والرجل الصالح أبا صالح محمد بن محمد بن أبي صالح وأبا بكر
بن محرز وأبا عيسى محمد بن أبي السداد وأبا الحسن سهل بن مالك
وأبا جعفر بن الدلال وأبا عبد الله بن قاسم وأجازني إجازة عامة
وذكر لي أن المذكورين كلهم قد أجازوه إجازة عامة ولم أقرأ عليه
إلا الحديث الأول من الموطأ وحدثني به عن أبي الحسين بن خيرة قراءة
وعن أبي الربيع بن سالم قراءة عليه لصدر منه وسماعا عليه لسائره.
وكان في أملي الاجتماع بالفقيه المحدث أبي محمد عبد الله مولى
الرئيس الأوحى الصالح أبي عثمان سعيد بن حكم صاحب مريقة لما

تقرر لدي من قمه بالعلم واعتناؤه بالرواية ولم يقض لي حينئذ ان
اجتمع به وقد وقفت على فهرسة شيوخه فرايت صنع فاضل ذي همة
وقد شاركته في بعض شيوخه الذين ذكرهم. ثم مررنا على مدينة
ازمور وزرنا قبور السادة المدفونين بها من الصالحين نفعا الله ببركاتهم
وختمنا الرحلة بزيارة قبر شيخ الصالحين وقدوتهم شرف المغرب
الاقصى وفخره وشمس زمانه وبدره ابي محمد صالح بن يناصرن افاض
الله علينا من بركاته وامن بصائرنا بنور يستمد من مشكاته ثم من الله
علينا من بركاته بجمع الشمل والاجتماع بالاهل له الحمد والشكر
كثيرا.

وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
والحمد لله الذي أعجزت صنائعه شكر الشاكرين وبهرت بدائعه فكر
المتفكرين فمن نداه هما كل فضل وبلا وجوداً وله الحمد كثيراً بدءاً
وعوداً وهذه قصيدة نظمته في الرحلة رأيت أن اختتم بها هذا التقيد
مستعينا بالله على ذلك ((وافر)):

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| عليك النصح رده بكل حِيى | وان ألفت واردة فحِيى |
| فمعظم ديننا نصح البرايى | كذاك أتى الحديث عن النبى |
| وقد نصح الجماد لذي اعتبار | وكف أولوا النهى عن كل غيى |

لسان الحال ابلغ من بليغ
 وقدماً سارت الأمثال عنها
 فاصغ الى نصائحها مصيخاً
 مسحت الأرض غرباً ثم شرقاً
 فقالت ما سؤالك بعد علم
 تسائل والحوادث مفصحات
 فصافحت التصفح مستبيناً
 مررت بحاجة فسألت عمـن
 فقالت خلفوني ذات شجـو
 اناخ بهم زمان ليس يرثي
 وقد أهدي الكسوف إلى أناس
 وجئت السوس اسأل وهو الأقصى
 ألم ترني وحيداً من أناسي
 وطففت بلاده أرضاً فأرضاً
 ووافينا تلمساناً فأبدت
 كذا مليانة أبدت عويلاً
 ورحت إلى الجزائر ذا سؤال
 دع التساؤل عمن حل ترباً
 وقالت لي بجاية أنت خلـو
 تسائل عن أمور ظاهرات
 وجئت بني ورار وهي عمري
 وفي ذي الجهل أعـي من عـي
 وما زدنا سوى حرف الروي
 وايقظ جفن ندب شمـري
 أسائل عن عواقب كل حي
 ألم ترهم جميعاً تحت طـي
 صوائح قد اصمت بالـدوي
 فما الفيت أرضاً ذات عـي
 أناخ بآخر الغرب القـسي
 ابكي بالغداة و بالعـشي
 لغيلان ولا يعني بـي
 تراهم كالبدور لذي النـدي
 فقال إليك عن كمد شـجي
 كما عطلت كعاب من حـلي
 تجربني بموقم الوجـي
 على أهل مضوا شـجو النـعي
 لأهل ضمهم جرف الأتي
 فقل سألت من هي بن بي
 وبادر منهج البر التـقي
 فيا ويح الشـجي من الخـلي
 عقرت لها ظهوراً للمطـي
 أثارت كامن الشـجن الخـفي

وميلة لم تمل عن هج نصح
ومن شاء الحديث فقل فلسطينة
وبونة قد أبانت من أبانت
وفي خولان أطرقت اعتباراً
وباجة بالبوائح قد أباحت
ولما جئت تونس وهي خرد
سألت عن الأولى هاموا إليها
فقال ما أرى منهم أنيساً
وجئت القيروان فجئت قفراً
وقابس قد نزلت بها سؤلاً
ورحت إلى طرابلس فقلت
وفي مسراتة سحت جفوني
وفي زديك مسقط كل قفر
يقول صحبت قبلكم أناساً
وكم رمت لدي عظام شخص
وباحت بالنداء قصور سرت
وقالت لي أقمت هنا زماناً
وكم نشرت علي بنود ركب
فما طال المد إلا قليلاً
رأيت الدهر يسحت كل حي
وقد برقت ببرقة لا معات

أصخ إن كنت ذا فهم سني
تسروي حديث المغرب
صروف الدهر من سام سري
جری الوادي فطم على القري
وأحمل روضها من بعد ري
زمت بجمالها وبحسن زي
فكم برها منهم حفي
وشر الوصل وصل الآدمي
يجيب صدها بالصوت الشجي
فكانت مثلها سياً بسني
رمت أهلي الحوادث عن قسي
لما أبدأت من النصح الجلي
بيان بالخطاب المعنوي
غدواً لسهام دهري كالرمي
منيب فاضل بر تقني
فأورت زند فكر الألمعي
أشاهد عبرة في كل حي
عليهم غابة من سميري
وقد عفاهم مر الآتي
يكر على الجبان مع الكمي
تلين عريكة القلب القسي

وسل عن ساكن اسكندري
وسل عن جوهر مولى الشقي
وسل بعبيدهم والقرمطي
فكم من فاضل فيهم رضي
وكم حالت حلى وجهه رضي
غداً نضواً بها مثل النضي
فكم ناع حوته وكم نعي
وينبع سل بمنقطع ثوي
فعرج إنها بيت الروي
أخفي الترب أقمار السمي
أخا جفن رو وحشى ظمي
إذا ما سيم ييع بلا نسي
وأين أخوه معتق الكمي
عظيم الشأن في وجه نضي
بأوسى وراح بخورجي
وحسبك واعظاً قبر النبي
لسان الحال بالسسر الخفي
كوشم لاح في كف الهدي
وعن فرسانها وسط الركبي
من الآفات في الدنيا بري
نجنا من صرفها أو مغربي

وسل اسكندرية أين ولى
وسل فسطاط عمرو عن نواه
بقاعدة الديار ديار مصر
وسل أم القفار بمن طوته
وكم حلت قوى من حل فيها
وكم ضخيم يموج من امتلاء
بها صرف الزمان يكون صرفاً
وسل في أيلة برأ وبحراً
وإن تعطف لطيفة ليست عنس
وقل أين الأحبة ليت شعري
وقفت هناك معتبراً سؤلاً
بجمع ما به إلا مشوق
فقلت لها فديتك أين أوس
فقلت ولك قد ذهباً لأمر
وكم قد راح بعدها منون
فياً عجباً تسألني بأوس
وفي الدهناء باح ولم يداهن
فسل بها منازل عافيات
وسل بداراً بغير من قريش
وجئت خليص أسأل عن نجبي
فقلت ما سمعت بمشرقي

وكررت السؤال بيطن مر
فلا وأبيك ما في الأرض حي
وشأن الدهر حل وارتحال
وكم أعدى الضعيف على قوي
ولما جئت مكة قمت فيها
فقلت قد سطا بهما منون
وصال عليهم شخصا فشخصاً
وما نكل الردى على هاشمي
ولا مازت عساكره قديماً
فمالك سائل عن واضحات
أما دارت على داري صروف
وقد أناخت على الفاروق جهراً
وفي السبطين جئن بكل نكر
وما راعت عياد أبي خبيب
وما غسب الردى ببغام ريم
وما أبقى على شيخ وكهل
ولا ذا العلم خصص من جهول
بمالك الإمام غداً منيخاً
وبلد فكرة من كل حبر
وما إن خام عن وعمل بنيق
نفوس الخلق يشرب ليس يروى

فقل ضللت عن نهج سوي
وقي سهم الخوف ولا ابن حي
وبطش بالعدو وبالولي
مدل والفقير على غني
أسألها بكعب أو لؤي
وبعدهما أناخ على قصي
فسل إن السؤال جلاء عي
ولا أنف الردى من باهلي
حنيفاً مسلماً من جاهلي
تبدت للذكي وللغبي
كسرن عماد كسرى الفارسي
وعثمان وبعد علي علي
على كفي طليق أو دعي
بييت الله والحرم العلي
ولا بزئير ليث قاصري
ولا غضر الشباب ولا صبي
ولا ذا الرشيد ميز من غوي
وأحمد والإمام الشافعي
وقط لسان طلق لو دعي
ولا في قفرة عن أحذري
بوسمي يصبوب ولا ولي

يشق القفر أهدي من قطاة
 وما جاب القفار بأرجبي
 وليس بني يدد كل نظم
 تراه إلى الورى يمشي الهوينا
 وما دارى لمنطقه جريراً
 وما حابى لصنعه حيباً
 وما أعفى من الأحداث عفواً
 ولا غمراً يصبوب بكل ري
 ولا ملكاً تدين له البرايا
 إذا حان المكامن حين حين
 وما عرف الكيس فزاد يوماً
 فسئل بالناسئين ولا نساء
 ولا تطمح بعينك نحو سام
 فأرقى الناس منزلة كسهم
 ولا يغرك من دنيائك وصل
 فقلت لقد نصحت بكل معنى
 وقد أسمعت أو ناديت حياً
 فقلت قد عهدت إليك نصحاً

وليل النقع أجرى من كمى
 ولا شق الغفار بأعواجي
 وليس بني يذوب كل نبي
 محاتلة لهم كمسير في
 ولا هاب القوافي من عدي
 ولا أرضى المفاخر في الرضى
 ولا طرفاً يمان بأتممي
 ولا ذمراً يصول بمشرفي
 ولا عبداً تزل في كسي
 فرى في السامري حشى الرمي
 ولا أجرى الشهور على النسي
 وسل عمراً بوالده لحي
 بهمته إلى أقصى الرقي
 يكون هويته سبب الهوي
 ففي الأمثال أغدر من بغى
 حقيق أن يصاخ له حري
 ولكن النداء لغير حي
 فوفئك المهيم من وصي

فهرس المدن والأماكن⁽¹⁾

(الألفُ)

1. أبو شمال 136
2. أجدابية 132
3. إرم 50
4. أزموور 214
5. الاسكندرية 138
6. إشييلية 67
7. أنسا 23
8. أنطابلس 135
9. أيلة 217

(الباءُ)

10. باجه 66
11. بجاية 49
12. بدر 41
13. برقة 133
14. برنيق 136

(1) رتبنا هذا الفهرس ترتيبا ألفبائيا دون اعتبار كلمة (ال) .

| | | |
|-----|-----------------|-----|
| 15. | بطرنة..... | 207 |
| 16. | بطن مر..... | 218 |
| 17. | البطنان..... | 149 |
| 18. | بغداد..... | 213 |
| 19. | بلنسية..... | 7 |
| 20. | بني ورار..... | 57 |
| 21. | بونة..... | 65 |
| 22. | بيار..... | 148 |
| 23. | بيت المقدس..... | 164 |

(الثاء)

| | | |
|-----|-------------|-----|
| 24. | تازا..... | 212 |
| 25. | تستر..... | 41 |
| 26. | تلمسان..... | 27 |
| 27. | تنس..... | 61 |
| 28. | تونس..... | 68 |

(الجيم)

| | | |
|-----|--------------------|-----|
| 29. | جامع الزيتونة..... | 69 |
| 30. | جربة..... | 152 |

31. جرسون..... 149

32. الجزائر..... 49

(الحاء)

33. حاحة..... 21

34. الحجاز..... 156

35. الحصوي..... 149

36. الحمامات..... 155

37. حنين..... 184

(الخاء)

38. خليص..... 217

39. خولان..... 66

40. خير..... 42

(الدال)

41. دمنهور..... 148

42. دمياط..... 148

43. الدهناء..... 217

(الراء)

44. الرباط..... 61

45. الرجل المشقوق.....149

46. رملة.....211

(النزاي)

47. النزعة.....211

48. زغوان.....69

49. زنزور.....118

50. زواره.....118

51. زواغة.....118

(السين)

52. سنديس.....149

53. سرت.....132

54. سفاقس.....107

55. سلا.....61

56. سنجار.....195

57. السوس الأقصى.....21

58. سوسة.....154

59. سويقة ابن مطكوك.....151

(الشين)

60. الشام..... 206
61. شبيكة..... 151
62. شقراطس..... 76

(الطاء)

63. طرابلس..... 119
64. طلميشة..... 149
65. طنجة..... 213
66. طيبة..... 183

(العين)

67. العباد..... 28
68. العقبة الصغيرة..... 138
69. العقبة الكبيرة..... 138
70. عين أقيان..... 135

(الغين)

71. غمدان..... 50

(الفاء)

72. فاس..... 116

| | |
|----------|-------------|
| 33..... | 73. فذك |
| 148..... | 74. فرما |
| 217..... | 75. الفسطاط |

(القاف)

| | |
|----------|------------------|
| 152..... | 76. قابس |
| 205..... | 77. قرطبة |
| 70..... | 78. قرطاجنة |
| 58..... | 79. قسنطينة |
| 150..... | 80. قصر جليط |
| 149..... | 81. قصر الصعافنة |
| 128..... | 82. قصر لجم |
| 76..... | 83. قفصة |
| 208..... | 84. القلاع |
| 151..... | 85. القمانس |
| 113..... | 86. القيروان |

(الكاف)

| | |
|----------|------------|
| 168..... | 87. كازرون |
|----------|------------|

(الميم)

| | |
|----------|-------------------|
| 61..... | 88. مازونة |
| 46..... | 89. المدية |
| 151..... | 90. المدينة |
| 118..... | 91. المراحل الحمر |
| 61..... | 92. مراکش |
| 149..... | 93. مراوة |
| 39..... | 94. مرسية |
| 151..... | 95. مسلاته |
| 31..... | 96. مصر |
| 131..... | 97. مصراطة |
| 148..... | 98. المغانة |
| 59..... | 99. مكة |
| 213..... | 100. مكناسة |
| 210..... | 101. ملالة |
| 148..... | 102. مليحة |
| 46..... | 103. مليانة |
| 141..... | 104. المنار |

| | |
|----------|---------------|
| 153..... | 105. المنستير |
| 133..... | 106. منهوشة |
| 153..... | 107. المهدية |
| 41..... | 108. مودة |
| 61..... | 109. ميلة |

(النون)

| | |
|----------|-----------|
| 152..... | 110. نفطة |
|----------|-----------|

(الواو)

| | |
|----------|-----------------|
| 47..... | 111. وادي شلف |
| 167..... | 112. واسط القصب |
| 61..... | 113. وجدة |
| 211..... | 114. وهران |

(الياء)

| | |
|----------|-----------|
| 217..... | 115. ينبع |
|----------|-----------|

مطبعة المعارف - عنابة

الهاتف: 030 83 06 49 - الفاكس: 038 83 10 16



مطبعة المعارف
- عنابة -

من منشورات بونة للبحوث والدراسات:

- شعر الصحابة «دراسة موضوعية فنية»
تأليف: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م
- الشعرية العربية «المفاهيم والأنواع والالفاظ»
تأليف: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م
- دراسات في أدب المغرب العربي
تأليف: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م
- الدرّة المصونة في علماء وصلاحاء بونة، تأليف: أحمد بن قاسم البوني
تقديم وتحقيق: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م
- التعريف ببونة إفريقية بلد أبي مروان الشريف، تأليف: أحمد بن قاسم البوني
تقديم وتعليق: د. سعيد دحماني، 1428هـ/2007م
- من هيبون بونة، إلى عنابة، تاريخ تأسيس قطب حضري
تأليف: د. سعيد دحماني، 1428هـ/2007م
- الرحلة المغربية، تأليف: محمد العبدري البلنسي
تقديم: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م
- بلاغات النساء، تأليف: أحمد بن أبي طاهر طيفور
تقديم وتعليق: د. سعد بوفلاقة، 1428هـ/2007م



Bouna

Lil-Buhooth Wal-Dirasat

